د. مصطفى عطية جمعة
Lee Myung-bak
رحيق الألم
قصة كفاح " لي ميونغ باك "
رئيس كوريا الجنوبية

رحيق الألم

(روايـــــة للفتـــــيان)

❖ اسم العمل: رحيق الألم قصة كفاح "لي ميونغ باك " رئيس كوريا الجنوبية (رواية للفتيان)

❖ الكاتب: د. مصطفى عطية جمعة

❖ إخراج داخلي: سليل الفراعنــة

❖ تصميم الغلاف: عبير فاروق & أمل رضوان

❖ رقم الإيداع: 4966 /2024

❖ الترقيم الدولي: 978-977-87413-0-8

(جميع الحقوق محفوظة للناشر وأي انتهاك سيعرض صاحبه للمساءلة القانونية
هذه النسخة مخصصة للقراءة فقط، ولا يجوز إعادة طبعها أو نسخها أو نشرها إلا بعد
الحصول على إذن كتابي من الناشر)

متون المثقف
للنشر والتوزيع

خالد عدلي
00201002688188
info.mothakf@gmail.com

(رواية للفتيان)

رحيق الألم

قصة كفاح
"لي ميونغ باك"
رئيس كوريا الجنوبية

د. مصطفى عطية جمعة

متون المثقف
للنشر والتوزيع

(في نهاية المشقة تأتي السعادة)

مثل كوري

❊ ❊ ❊

(حتى لو كنت تعرف الطريق، أسأل مجددا)

حكمة كورية

❊ ❊ ❊

لي ميونغ باك- الرئيس الأسبق لكوريا الجنوبية

الفهرس

الفهرس ٩

" لطالما كان العمل جزءا من حياتي" ١١

الكدّ يكوّن إنسانا ويصنع أسرة ١٣

دفء الوطن يغمر القلوب ٢٠

احلم بالعلا وليكن قلبك متواضعاً ٢٩

لا تدع الفقر يخنق أحلامك ٤٣

الحجر المتدحرج لا تتجمع عليه الطحالب ٥٧

❊ ❊ ❊

" لطالما كان العمل جزءا من حياتي"

تلك مقولة " لي ميونغ باك" الرئيس الكوري الجنوبي (ولد ١٩٤١)، قالها بعد تأمل نافذ في مسيرة حياته الطويلة الشاقة. متذكرا كيف اضطر في طفولته إلى بيع الكعك المحشو بمعجون الفاصوليا الحمراء في سوق قريته الصغيرة؛ كي يساعد أسرته، بعدما صار أبوه لا عمل لفترة من الوقت.

وقد تعلم " لي ميونغ" من أبيه الصبر، ولا يزال يتذكر كلماته بأن: كل ألم يتلوه راحة، والدنيا تتقلب بالفرد بين نعيم وشقاء. وكان يستحضر دوما صورة أمه، ووصفها بأنها: سيدة ريفية بسيطة جدا، وصادقة جدا في كلماتها، ومشاعرها، لم تحلم بالثراء ولو للحظة واحدة فقد كانت القناعة ديدنها، ترضى بالقليل، وأقل القليل، يكفيها أن ترى أولادها حولها. إنما كان حلمها ليوم واحد، وهو أن يمرّ هذا اليوم عليها، وقد وفّرت الطعام، دون أن تفكر في غدها، فيكفيها أن ينام أولادها وقد تعشّوا هانئين، ساعتها ستغمض عيناها في سكينة، وتنام في سبات عميق، وهي التي كانت توصي ابنها:

"ابذل كل ما في وسعِكَ، في أي عمل تقوم به، وتيقن أن الله سيتكفل بالباقي"

وعى الابن الصغير "لي ميونغ باك" وصيتها، وهو يراها تستيقظ مع خيوط الشمس الأولى، وتظل تكد طوال اليوم، ما بين عمل الخبز والكعكات

التي ستباع في السوق المحلي للقرية، وبين تجهيز وجبات الطعام البسيطة لأطفالها.

فحلم أن يكبر، ويعمل بدأب، حتى يصبح ثريا، ويشتري لها فستانا جميلا، ثم يدعوها لتناول عشاء فاخر، في مطعم راق، وسيكون أبوه معهما، وسيأخذهما "لي ميونغ" في رحلة طويلة عبر البحار، ليشاهدا جمال الدنيا، ليثبت لهما نجاحه، بعدما عمل بنصيحتهما:

"اعمل يا بُنيّ بجد، وثابر، وأحبب الآخرين واخدمهم"

فاشتغل "ميونغ" دون كلل، وواصل العطاء دون ملل، في كل حرفة توفرت له، حتى وفِّق -في العام ١٩٦٥- للعمل حرفيا في شركة هيونداي، التي كانت وقتها شركة صغيرة، لا يتجاوز عدد عمّالها ٩٠ عاملا. واستطاع "لي" أن يتدرج في وظائف الشركة، حتى صار مديرا لها، ولمدة سبعة وعشرين عاما متصلة، حيث قرر أن يتركها، وقد أضحت شركة عالمية، يعمل فيها أكثر من ١٦٠ ألف عامل، وتوجّه بعد ذلك إلى عالم السياسة، ليصبح عُمدةً (محافظا) لمدينة سول العاصمة، ثم رئيسا لكوريا الجنوبية، وينفذ وصية أمه، فعمل بدأب، حتى أصبحت كوريا واحدة من أفضل اقتصادات العالم الصاعدة.

رحلت أمه وأبوه قبل أن يحقق لهما كل ما تمناه لهما، ولكن ظلت كلماتهما مدويةً في أعماقه.

الكدّ يكوّن إنسانا ويصنع أسرة

أنصت الطفل "لي ميونغ باك" إلى أبيه "لي شونغ ووه" وهو يحكي عن رحلة الشقاء الذي لازمه كثيرا في حياته. فقد وُلِد الأب في قرية صغيرة، تبعد بضعة أميال عن مدينة "بوهانج" التي تقع في شمال كوريا الجنوبية. كان الأب "شونغ ووه" هو الطفل الثالث في ترتيب أبناء الأسرة، أما الجد فكان فلاحا يمتلك قطعة أرض زراعية غير كبيرة.

وكما هو معتاد في تقاليد الإرث في كوريا، فإن الابن الأول يرِثَ النصيب الأكبر، وهي الأرض الزراعية التي منحها الجد له، أما الابن الثاني الأوسط، فقد فاز ببقية ممتلكات الجد، وهي البيت والأثاث والماشية، ليجد الابن الثالث "شونغ ووه" نفسه ضائعا بين إخوته، بلا ميراث ولا مال، فتوجب عليه الرحيل بعيدا عن قريته، باحثا عن عمل يتعيش منه، وهو الشاب صغير السن طري العود، الذي لم يكمل عامه العشرين، ولا يجيد حرفة.

كان ذلك في سنوات العشرينيات من القرن العشرين، حيث سقطت كوريا تحت احتلال الجيش الياباني الذي يتحكم في مواردها، وأفقر شعبها، وجعل شبابها في بطالة دائمة، فلم يجد الشاب "شونغ ووه" الفقير إلا الحرف البسيطة المتدنية ليعمل بها، فعمل في رعاية الماشية في الحظائر، وبالأجرة اليومية في المزارع، أو في المناجم، أو في حمل الأمتعة في الأسواق.

فيا لها من حياة بائسة، واجهها "شونغ ووه"، وهو يتنقّل بين حِرف عديدة، حيث يبدأ يومه مع ضوء الشمس الباهت، المتسرب من الضباب المتراكم، ليخرج في الصقيع، متجها إلى أماكن تجمع العمّال الأجراء، راضيا بأي عمل يُرزَق به، فيكدّ نهاره كله فيه، قبل أن يعود إلى بيته الفقير، على أطراف مدينة بوهانج، حاملا عشاءه، المكون غالبا من الأرز، وبعض الخضراوات المتبّلة، والقليل من البيض المقلي، وهو وجبة "البيبيمباب"، التي يبيعها الباعة الجائلون في أزقة بوهانج، فيَلتَهم شطرها، ويُبقي الشطر الآخر لليوم التالي، فقد تشرق شمس الغد وتغرب، ولا يجد عملا يتقوّت به.

علّمه الفقر الادخار، ولو اقتصر على كعكعات من الأرز، يُغلّفها جيدا، ثم يعلقها بحبل في سقف الكوخ، فأرض كوخه متسخة، قد تدب بها حشرات، ثم يعتلي سريره ذا القوائم الخشبية المنتصبة، ليخلد إلى نوم طويل.

تعلّم "لي شونغ ووه" أيضا كيف يدخر المزيد من المال، بعملة بلده وهي الينّ الكوري، ويراكمها يوما بعد يوم، حتى استطاع أن يشتري بقرة، أوقفها بجوار كوخه الصغير، ووفّر لها العلف والرعاية، وراح يحلبها في صباحه ومسائه، مستفيدا مما تنتجه من حليب، فيصنع منه الجبن والزبد، ويبيعه في السوق.

وعندما تكاثرت "الينّات" في يده، أدرك أنه كان مصيبا، في مشروعه الأول في حياته، ويكفيه أنه يفطر حليبا طازجا، ويتعشى بقطعة زبد كبيرة.

***

- ما رأيك أن ترحل معي إلى اليابان؟

كان هذا عرضا من أحد أصدقاء شونغ، وهما يجلسان في إحدى الأمسيات، على مقهى قريب من الحارة التي يسكن فيها. تطلع شونغ إلى صديقه، الذي ارتسمت على وجهه أمارات الجدّ والعزيمة، وأدرك شونغ أن صديقه لا يضحك معه، فهتف به:

- ولماذا نرحل، ولدينا عمل هنا؟

أجاب صديقه: المال في اليابان وفير، ونستطيع أن نربح أضعاف ما نكسبه هنا.

تردد شونغ، قبل أن ينطق:

- سأضطر إلى بيع بقرتي.

نهض صديقه، وهتف به:

- هيا أيها الخائف، بع بقرتك، وتجهّز، فستسافر معي في نهاية الأسبوع.

لم يكن شونغ بحاجة إلى طول تفكير، فقد راقه العرض، سيذهب إلى اليابان، البلد الغنية، فلطالما سمع أن الحياة هناك ميسرة، أكثر من كوريا، والعمل متوافر.

***

ركبا الصديقان مع آخرين قاربًا، أبحر بهم في بحر اليابان، الذي يفصل كوريا عن الجزر اليابانية، بدت -من بعيد- أرض شبه الجزيرة الكورية أشبه باللسان الممتد داخل البحر، وتهادى بهم القارب، وهو يجتاز مضيق كوريا، بين بحر اليابان وبحر الصين الشرقي الذي يسمى البحر الأصفر، ثم اتجه بهما إلى خليج غير عميق.

تطل عليه جزيرة أوساكا، فرسى القارب على شاطئها، ونزل الأصدقاء على شاطئ طويل تزينه حقول خضراء، وأشجار كثيفة، فلا عجب، فهذه جزيرةٌ وفيرةٌ مياهها العذبة، يحملها نهر يودوغاوا، الذي يصب أيضا في خليج أوساكا، وكان عليهم البحث عن عمل عند أهل الجزيرة اليابانيين.

سرعان ما تبخّرت الأحلام التي حملها شونغ في صدره، فالحياة في أوساكا ليست رغدة، والمال ليس سهلا، ويتعين عليه القيام بأعمال شاقة، متحملا عسف أهل الجزيرة، الذين تعاملوا باستعلاء مع الشباب الكوري الفقير، ولا عجب، فما كوريا إلا أرض يحتلها الجيش الياباني الامبراطوري، الذي هو من أقوى الجيوش في العالم وقتئذ، ويسيطر على

العديد من بلدان جنوبي شرقي آسيا، فارضا سطوته على البحار والأنهار والبشر.

عمل شونغ في إحدى المزارع، وكان عمله شاقا مضنيا، ولا سبيل أمامه إلا التحمّل، مع الصمت التام على التمييز الشديد الذي مارسه أصحاب المزرعة نحو العمّال الكوريين، فأجره مرتفع نسبيا عما في بلده كوريا. ولذا، استطاع شونغ توفير قدر من المال، دفعه إلى أن يفكّر جديا في الزواج، فقد أضحى شابا يافعا، وعليه البحث عن رفيقة العمر، كي يكون عريسا وسيما في احتفال يجتمع فيه أهل القرية؛ فذاك حلم لطالما داعب خياله، حيث يرتدي ملابس "الهانبوك" الرجالية الفاخرة، المكونة من قميص الـ "جيو جوري" ذات اللون الغامق، وسروال "الباجي" الفضفاض فاتح اللون، وستكون العروس بجواره مرتدية "الهانبوك" النسائي، وفيها تنّورة (جيبة) طويلة واسعة، تصل إلى الصدر، وتغطي القدمين، وفوقها قميص الـــ"جيو جوري" فاتح اللون، وتميل برأسها على صدر العريس، ليلتقط لهما المصور بكاميرته العتيقة صورا عديدة، سيحتفظان بها في ألبوم، ليراها أولادهما وأحفادهما، عندما يكبرون.

ها هو "شونغ" يركب سفينة صغيرة، تبحر به من جزيرة أوساكا، متجهة إلى الشاطئ الكوري، يحمل في طيات ملابسه ما ادّخره من مال، وعيناه مثبتتان على نهاية الأفق، يتعجل ظهور شاطئ وطنه، بما فيه من غابات كثيفة، وسهول خضراء واسعة.

عدة وسائل مواصلات اتخذها شونغ، ما بين سيارات قديمة، تئن في سيرها على الطريق، وأحصنة تجرّ عربات خشبية؛ حتى وصل إلى قريته الصغيرة، بالقرب من مدينة "بوهانج"، وكان عليه المسارعة في البحث عن فتاة مناسبة، من بنات القرية، فإجازته من العمل قصيرة، وعليه العودة سريعا، وإلا تعرّض للفصل، ولا يريد إلا أن يعود ومعه عروسه.

ويبدو أن القدر أراد له شيئا آخر، فلم يجد في بنات قريته مَن تناسبه، فكان عليه أن يجدّ في البحث، وسؤال من يعرفهم، من أقاربه وقريباته، فدلوه على فتاة تدعى "تاييون" من عائلة "تشاي" التي تسكن في قرية تابعة لمدينة دايغو. وما إن رآها شونغ، حتى أدرك أنها العروس التي يبحث عنها، رأى فيها الهدوء والأدب والحياء، وسرعان ما تم الزواج، وغادر مع زوجته كوريا عائدا إلى مقر عمله في المزرعة في جزيرة أوساكا. تغمره السعادة، وهو ينظر إلى وجه زوجته الشابة، ذي الملامح البريئة، وعينيها اللتين تكشفان عن نقاء سريرتها، ورضاها الدائم.

كان بيت الزوجية عبارة عن كوخ خشبي صغير، يشتمل على غرفة ومطبخ وحمام، بجانب أكواخ أخرى. اشتملت الغرفة على أثاث بسيط: مرتبة مفروشة على الأرض، يتمّ طيّها نهارا، وبسطها ليلا، وهناك صندوق خشبي للملابس، أما المطبخ ففيه أواني الطبخ المعدنية، وفي ركن منه، موقد من الأحجار، وقوده الحطب الجاف من أشجار ونباتات المزرعة.

حياة تقليدية ريفية الطابع عاشها شونغ، يعود من عمله في المزرعة منهكا، فتستقبله تاييون بابتسامة واسعة، وتسارع ببسط آنية الطعام على الأرض. يُشعِل شونغ السراج مع الغروب، وانسحاب أشعة الشمس ثم اختفاء قرصها تدريجيا إلى ما وراء كثبان الجزيرة. يشعر شونغ بكل أسباب السعادة في حياته، فحياته رغم فقرها مستقرة، وزوجته ماهرة في الطبخ وشؤون المنزل، وقد خففت عنه الكثير مما يجده من شظف العيش والمعاملة السيئة المهينة من قبل اليابانيين.

تتابعت السنون، ورُزِقوا بأربعة أطفال، ملأوا الكوخ ضجيجا، واتخذوا من أزقة القرية ملعبا لهم. أما شونغ العاشق لأولاده، فقد دأب على أخذ أطفاله أينما سار في أنحاء المزرعة أو في شوارع القرية، وبجواره تاييون منتفخة البطن، تبتسم لنساء الجيران الكوريات، واللائي يعمل أزواجهن في المزرعة؛ وهن يباركن حملها الجديد؛ ويدعون لها بالسلامة. وبالفعل كنّ عونا لها، عندما وضعت مولودها الخامس الذي سُمّي " لي ميونغ باك"، وكان ميلاده يوم ١٩ ديسمبر ١٩٤١، وأقمن احتفال الـــ "بيك إيل" عندما أتم المولود الجديد يومه المئة، ورددوا أغاني المولود، وهن يحيين التقاليد الكورية في غربتهن، وعندما سمعهن شونغ، تمتم: "سنعود قريبا إلى وطننا، كفانا غربة"، تطلعت له زوجته، وهتفت به: ليته يكون سريعا.

❊ ❊ ❊

دفء الوطن يغمر القلوب

لم يصدّق شونغ الأنباء المتتابعة التي ينصت إليها في المذياع الوحيد الذي كان مع الكوريين العاملين معه في جزيرة أوساكا. لقد انتهت الحرب العالمية الثانية في أغسطس ١٩٤٥، بإعلان اليابان استسلامها للولايات المتحدة الأمريكية، وتفكيك أسطورة الرعب وهو الجيش الامبراطوري ذو الستة ملايين، وانسحابه أيضا من شبه الجزيرة الكورية بعد ثلاثين عاما من الاحتلال، ودخول القوات الأمريكية وسيطرتها على الجزر اليابانية.

مشاعر متضاربة تصارعت في فؤاد شونغ، وهو يشاهد الانكسار والذلة على وجوه اليابانيين حوله في جزيرة أوساكا، بعد ضرب مدينتي هيروشيما وناجازاكي بالقنابل الذرية، واحتراق مباني المدينة ومعها عشرات الآلاف في دقائق معدودة، والغبار الذرّي المتصاعد والمتمدد حول المدينتين، ومنه إلى بقية المدن والبقاع، ورعب السكان الهائل من آثاره.

- سنعود إلى الوطن كوريا، وسنحيا في عزة وكرامة.

قالها شونغ لزوجته، وأطفاله الخمسة ملتفون حوله، لا يعرفون وطنهم كوريا إلا من حكايات والديهم. فدأب شونغ هو الحكي عن قريته وعن الأعمام، أما زوجته تاييون فتحكي عن قريتها وعن الأخوال، بالإضافة إلى ما تقصه عليهم من حكايات وحواديت حفظتها عن أمها. واعتادت تاييون

على روايتها في ليالي الشتاء الباردة، عندما تُشعِل الحطب في كوخهم الصغير، فيُضاء المكان بالنار، ويتسلل الدفء إلى الأبدان، ويجلس الأب شونغ، يرتشف أكواب الشاي الكوري التقليدي، الذي يحوي مزيجا من الزهور والأعشاب مع الماء الساخن، تغليه تاييون في برّاد كبير، على حافة موقد النار، وتشارك زوجها في ارتشاف الشاي.

- كم أنا مشتاقة إلى أهلي وقريتي ووطني.

هكذا ردّت عليه تاييون، وهي تداعب شعر صغيرها "لي ميونغ باك"، البالغ من العمر أربع سنوات، وتميز بذكاء حاد وسط إخوته، مما لفت نظر والديه إليه، وكان في حداثته المبكرة واعيا لما يدور حوله من أحداث، منصتا لكل ما يتفوه به والداه.

لاذ "ميونغ" بالصمت، متأملا الضحكة التي زيّنت وجهي والديه، وهما يتخذان قرار العودة، ويشاركهما إخوته الأكبر منه.

ثلاثة أشهر مضت، بعد تحرير الوطن، وأسرة شونغ: الوالدان وخمسة أطفال، يركبون قاربا مع أسر كورية أخرى مهاجرة، يحملون معهم كل ملابسهم القديمة، وبعض الأمتعة السهل حملُها، ومبلغ من المال قليل، وضعه شونغ في جيبه، هو كل ما ادّخره طيلة سنواته الطويلة المضنية في أوساكا، حالم أن يعينه على أمور المعيشة، بعد عودته إلى كوريا.

وصلت الأسرة إلى ميناء شيمونوسكي في جنوب غربي اليابان، لتستقل عبّارة ستجتاز بهم بحر اليابان، إلى ميناء بوسان في الساحل الشرقي لكوريا، وهو أكبر موانئها. جميع الكوريين على العبارة يغنون، وبعضهم يقفز في الهواء فرحا، فهم عائدون إلى وطنهم المحرر، وقد شاهدوا انكسار عدوهم المحتل، إنها سويعات قليلة، وسترسو العبارة في الميناء الكبير، وسويعات أخرى، ويصلون إلى قراهم أو مدنهم، ليكونوا في معية أهلهم. إنها فرحة دفعوا ثمنها مقدما، أعواما خلَت، قضوها في عمل أشبه بالسُخرة، وامتهان أقرب للعبودية.

امتزج الخوف والقلق بفرحتهم، ولم يفلح رذاذ البحر المتطاير في امحاء الترقب في نفوس بعضهم، فلا يعرفون ما هو قادم، وإن كانوا واثقين أنه لن يكون أسوأ مما مضى.

العبّارة تبتعد عن الشاطئ الياباني، والضجيج يعلو، والغناء يشتد، ويبدو أن أمواج البحر أرادت مشاركتهم، فراحت تضرب جنبات العبارة بقوة، فتُحدِث اضطرابا، ودوارًا وإعياءً للركّاب. الأمواج تعلو أكثر، وتغزو سطح العبّارة، بل وتتكاثر عليه، ويبدأ الناس في الصراخ، وهم يرون أرجلهم تغوص في المياه، وصرخ البعض:

- العبّارة تحمل بشرا أكثر من طاقتها، ويجب تخفيف حمولتها، وإنزال البعض إلى قوارب.

ولكن صرخاتهم ضاعت، مع اهتزاز العبّارة بشدة، وارتفع صوت قبطان العبارة:

- اهدأوا، تماسكوا، فأمامنا ثلاثة وثلاثون ميلا، ونصل إلى ساحل بوسان.

هتف شونغ، وهو يحتضن أطفاله، ويدفع عنهم مياه الأمواج:

- إنها ساعتان أو أقل، وسنصل إلى وطننا.. ما علينا إلا الصبر.

ولكن الدقائق مرّت كالدهر، وجسد العبّارة يرتج، والأمواج تزبد، وتتراكم على سطح العبارة، التي جنحت، قبل أن تدفعها الأمواج الغاضبة إلى جزيرة تسوشيما، فتصطدم بصخورها، وتتكسر ألواحها، ويسقط الجميع في الماء.

المشهد في غاية الألم، أناس تحولوا من الغناء إلى الاستغاثة، ومن حب الحياة إلى مقاربة الموت، ولكن يأبى الموت أن يلاحق هؤلاء البؤساء، الفرحين بالعودة إلى وطن محرر، بعد حياة مفعمة بالقهر.

تنادوا في ما بينهم أن يتعلقوا بالألواح الخشبية، فهم في مياه ضحلة محاذية لجزيرة تسوشيما، وحتما ستشاهدهم السفن القريبة، وستسارع إلى نجدتهم. وضع شونغ أطفاله وزوجته على لوح خشبي كبير، دفعه إلى شاطئ الجزيرة، فقد كان يجيد العوم، فيما حانت منه التفاتة إلى بقايا جسم العبّارة المتحطم والغائص في المياه، ومعه أمتعة الأسرة كلها، أما أوراق المال التي

جمعها شونغ، فقد تلاشى حبرها، وتحولت في جيب شونغ إلى عجينة ورقية. اصطف الأطفال بجوار والديهم، على شاطئ الجزيرة، قبل أن تأتيهم سفينة وتحملهم إلى ساحل بوسان، لتخطو أقدامهم على أرض الوطن، بلا أمتعة ولا مال.

***

وصلت الأسرة إلى قرية شونغ الصغيرة، والمجاورة لمدينة بوهانج، رأى الأطفال أعمامهم، وبقية أقارب أبيهم في القرية. الجيوب خاوية، والبطون جائعة، وأهل القرية فقراء.

ولأن الفقر ليس غريبا عن شونغ، فمثلما عارك الحياة، فقد عارك الفقر، وهزمه في كل مرة، فكان عليه أن يخرج من قريته بحثا عن عمل، موقنا أن رزقه موكول إلى الله.

كان وقت البكور، والحركة تدب في جنبات القرية، عندما تطلع شونغ إلى زوجته، وقد تمزق ثوبها، ووضعت فيه بعض الرقاع القماشية، فأطرقت زوجته في حياء، فابتسم لها، وخرج سائرا في طرقات القرية الضيقة، متجها نحو الطريق الخارجي، حيث سيارات الأجرة شبه المتهالكة، يستقلونها للذهاب إلى بوهانج أو إلى المزارع والأسواق.

يتذكر شونغ أيام شبابه الغض في بوهانج، عندما كان يجلس مع العمّال والأجراء منذ الصباح، عند نواصي الشوارع أو على أطراف المدينة، منتظرا

أن يطلبه أحدهم للعمل في مزرعة أو لحمل أمتعة، أو نقل أثاث. هكذا يعيد التاريخ نفسه، وتتكرر أحداثه، وتلك هي الدنيا، لا تثبت على وتيرة واحدة، فمن أمن لها واستكان غدرت به. يردد شونغ المثل الكوري: "حيث تجد الشعاع تجد الظل"، فإذا كان ضوء الشمس يتبعه ظل، فإن السعي يتبعه رزق.

كان شونغ قد وصل إلى خارج القرية، وآثر الركون أسفل شجرة القيقب وارفة الأغصان، مستمتعا بأوراقها المائلة إلى الحمرة، وإن جفّ بعضها بفعل فصل الخريف.

انتبه إلى صوت، فنظر نحو مصدره، كان رجلا كهلا، يلبس الملابس الإفرنجية: بذلة، وكرافتة، وقميص، يبدو أنه أحد الموظفين الكبار في الحكومة. تطلع شونغ نحوه، فقال له الرجل:

- هل يمكن أن تساعدني، أيها الرجل الطيب؟
- أساعدك في ماذا؟
- أبحث عن مزارع يتولى مهام مزرعتي، التي تقع بالقرب من القرية هنا.

تفكّر شونغ سريعا، إنها فرصة للعمل، فتساءل:

- وماذا تريد منه أن يفعل في مزرعتك؟
- فقط يزرع، ويسقي الأشجار، ويرعى الماشية.

- حسنا يا سيدي، يمكنني القيام بذلك.

تطلع إليه الرجل، وتفرس في وجه شونغ، فرأى أمامه رجلا في نهاية عقد الثلاثينيات من العمر، تبدو عليه الطيبة والجدية، وقد تعروّقت يداه بفعل العمل اليدوي.

- وهل لديك خبرة بهذا العمل؟
- نعم سيدي، فقد عملت سنوات طويلة في مزارع جزيرة أوساكا، وقبل ذلك في بوهانج، كنت أرعى الأبقار، وأبيع حليبها، وأصنع منه الجبن والزبد.
- ما اسمك أيها الرجل؟
- أنا "لي شونغ ووه"، أسكن هنا في هذه القرية.
- وأنا "هيون وو"، أعمل مديرا لمدرسة دونج جي الثانوية في بوهانج، وأمتلك مزرعة قريبة من هنا.

ثم أردف قائلا:

- هيا معي يا شونغ لأعرّفك طريق المزرعة، وأريك المطلوب منك.

أوقف "هيون وو" إحدى العربات الخشبية التي تجرها الأحصنة، وركب مع شونغ، وانطلقت بهم العربة في طرقات جانبية، وهيون وو يُعلم السائق الطريق، حتى وصلا إلى المزرعة.

فترجل الاثنان، وتجوّلا في أنحاء المزرعة، وقد غُرِست فيها أشجار التوت والتفاح، وفي جانب منها توجد حظائر للماشية. فتمتم شونغ بأن الأشجار تحتاج إلى سقي سريع، فالتربة حولها جافة، كذلك الماشية في حاجة إلى طعام وماء، وإلا ستموت. وتفحص شونغ أنحاء المزرعة، فلم يشاهد عاملا أو مزارعا، فسارع شونغ بفتح قنوات الماء ليتدفق إلى الأشجار.

ابتسم هيون وو، وهو يشاهد شونغ يقوم بعمله على أتم وجه، وبسرعة ودقة، فقرر أن يوظفه في الحال، ولذا ناداه بأن يحضر سريعا، فترك شونغ ما في يده، وتوجه نحو مالك المزرعة، الذي قال له:

- أنت من الآن مسؤول عنها، وسآتيك مرة أو مرتين في الأسبوع.
- أشكرك سيدي.
- يمكنك أن تستعين بعدد من الأجراء للزراعة، وعليك أن تتفق مع أحدهم ليتولى حراسة المزرعة ويقيم فيها، وأنا أعهد إليك بالإدارة الكاملة، وأثق أنك ستكون أمينا عليها.

ثم عرض عليه الأجر، فرضي به شونغ، مدركا أنه ليس كبيرا، ولكنه سيكفي مؤونة أسرته.

وحينما عاد شونغ إلى قريته في نهاية اليوم، أخبر زوجته تاييون، فازدان وجهها بالفرحة، فقد أمنت مصدرا للدخل للأسرة، وهي تعرف جيدا أن زوجها ماهر في عمله.

وهكذا، سارت حياة شونغ، يرعى المزرعة طيلة النهار، ويعود إلى منزله الصغير في نهاية اليوم، لم تختلف كثيرا عن حياته في أوساكا، ولكن شتان بين الحياة على أرض وطن محرر، وبين حياة في خدمة مُستعمِر الوطن نفسه، يتجرع فيها هوانا أقرب إلى العبودية،

الأولاد يكبرون يوما بعد يوم، وها هو "لي ميونغ باك" الصغير، الذي تتابعت السنون عليه، وازداد وعيه، يرى أسرته مستقرة، الأب مخلص في عمله بالمزرعة، وصاحب المزرعة متمسك به، معجب بأمانته، وقد ازداد إنتاج المزرعة من الحليب، وكثرت أعداد الماشية، واستثمر الأب كل جزء في الحديقة فزرعه بالأعلاف اللازمة لإطعام الماشية، وبعض الخضراوات.

❊ ❊ ❊

احلم بالعلا وليكن قلبك متواضعاً

بلغ "لي ميونغ باك" سن التاسعة، وقد دأب على الذهاب مع إخوته إلى المزرعة ليساعد والده في بعض ما يقوم به من أعمال. وكانت المفاجأة أنه شاهد والده في هيئة مختلفة، فهو ليس الأب الحاني الذي يداعب صغاره في البيت، بل العامل المكدّ، والمدير المجتهد، فما إن يدخل أبوه إلى المزرعة، إلا وهو مخطط لكل عمل سيقوم به، مكلفا كل مزارع معه بمهمة محددة، ثم يتابعه كل فترة من الزمن، إما بالحضور بنفسه أو أن ينادي عليه فيسأله عن كل خطوة.

لم يكن الوالد ثرثارا، بل زاهدا في الكلام، إلى حد أن السامع يعدّ كلماته عدّا. وصمته الطويل تعقبه كلمات حكيمة، يتلقفها الطفل "ميونغ" بتلهف، رغم سحنة الجدّ التي تغلف وجه أبيه، ولكنها كلمات حفرها ميونغ في أعماقه وظلت معه طيلة عمره.

كان الدرس الأول الذي تعلّمه ميونغ من أبيه: "اعمل كثيرا، وتكلم قليلا".

وذات مرة، كان أبوه يلوذ بالراحة تحت إحدى شجرات التفاح، ساهما ناظرا إلى السماء، ثم تمتم بكلمات غير مفهومة، وعندما سأله "ميونغ" عما يتفوه به، أجابه شونغ بحنان:

- أنا أخطط لما سأفعله بعد الراحة، وفي بقية يومي.

وأردف الأب موضحا فكرته لابنه الذي تطلع إليه بعينين صافيتين:

- عليك أن تخطط لما ستفعله في يومك، أو في غدك، أو حتى بعد شهر.

ببراءة الأطفال هتف ميونغ:

- وهل يمكن أن أخطط لعشرين سنة عندما أكبر وأصير رجلا؟

ضحك الأب، وقال:

- لدينا مثل شعبي كوري يقول: "احلم بالعلا وليكن قلبك متواضعاً".
- لم أفهم يا أبي!

احتضن الأب نجله، وتأمل ملامح الصغير، التي هي مزيج من ملامح أبويه: شونغ، وتاييون، وإن كانت سمرة الأب تكسو وجه ميونغ، ثم قال:

- يا بني، استهدف كل خير، واحلم بكل ما هو جميل، شريطة ألا يعرف قلبك الغرور.

تفرّس ميونغ في قسمات أبيه النابضة بالطيبة، شعر أنه يشبه أمه شكلا وروحا، وكأن القدر جمعهما معا، معجبا بمعاني الحكمة التي تفيض من كلمات أبيه، ويحرص أن يعلّمها أولاده، لذا، فهو دائم الترديد للمثل الكوري المتوارث:

- **" الكلمات لا أجنحة لها لكنها تستطيع الطيران آلاف الأميال".**

ويستحضر الأب معها وصايا كونفوشيوس الحكيم الصيني، شارحا كيف انتشرت وتجاوزت أرض الصين، وآمن بها كثير من الشعوب.

وأهم وصايا كونفوشيوس، والتي طبقها شونغ: "تقدير الكبار، واحترام الآخرين"، فالكبار نتعلم منهم، والآخرون نحتاج إليهم، ولا تعايش إنسانيا دون محبة بين الناس. وأول هذه المحبة الانحناء المهذب أمامهم، على عادة شعوب شرق آسيا وجنوبها، فالالتزام بالأعراف الاجتماعية تجعل الفرد محبوبا بين الناس، بل ويأخذ الحكمة منهم، وهم يبادلونه الاحترام والتقدير، وإن كان هناك ظالما أو متكبرا، فلا مكان له في قلوب الناس. يمكنك شراء طاعة الناس بالمال، ولكنك لن تنال حبهم.

أسفل شجرة التفاح، غفا تشونغ، وأخذته سِنة من النوم، وابنه ميونغ بجواره، متطلع إليه، مدرك عظيم خلق أبيه، هذا المزارع البسيط، والمكافح من أجل تربية أبنائه.

يدرك الصغير ميونغ مكانة والده، وعظيم خلُقِه، وكيف أن الفقر لم يدفعه لإهمال أولاده، على نحو ما يفعل بعض رجال القرية، بإدمان الكحوليات، وإلقاء مسؤولية الأولاد على عاتق الأمهات، بل على العكس، فإن أباه تشونغ يحترم أمه تاييون، ويساعدها في أعمال المنزل، وفي إطعام الصغار، ويعطيها كل المال الذي يتوافر معه، ولو كان يَنّات قليلة.

سنوات انقضت على عمل تشونغ في المزرعة، وكم كانت سعادته، عندما أشارت زوجته تاييون إلى بطنها، وضحكت في خفر وحياء، ففهم تشونغ أن هناك طفلا قادما، وسيكون ترتيبه السادس بين أشقائه.

ساعتها، أمسك تشونغ بكفي زوجته، وقبّلهما، وهو يهمس لها باسم المولود إذا كان أنثى، سيسميها تاييون، أما إذا كان ولدا، فسيكون "سانج بيل"، وهو ما تحقق، بعدها بأشهر، عندما أخبرته القابلة (المولّدة) بأن ذكرا رُزِقَ به.

فدخل تشونغ مقبّلاً جبين زوجته، وخلفه أولاده الخمسة يهللون في سعادة، وهم يسألون أباهم عن اسم شقيقهم الجديد، فسارعت تاييون لتقول: إنه سانج بيل.

***

في مطلع العام ١٩٥٠، التحق "لي ميونغ باك" بالمدرسة الابتدائية في صفه الأول، كان سعيدا وهو يغدو حاملا حقيبته القماشية التي صنعها خياط القرية، وفيها كراسات وكتب وأقلام.

يغدو الطفل، إلى مدرسته، في مبناها العتيق، وقد كان بيتا قديما، وأزالوا حديقته لتكون ساحة يقف فيها التلاميذ في طابور الصباح. ابتسامة ميونغ صافية، وهو مرتدٍ ملابس التعليم، ثم وهو جالس منصت ومنتبه لما يقوله المعلّمون في فصله، وعندما يعود إلى البيت، يقف جوار أمه، يحكي لها عما تعلّمه في يومه، وما فعله مع زملائه. تنصت له أخته الأكبر منه "جوي إي"، وبجانبها بعض أشقائها، فحكاياته مسلية مضحكة.

أحلام المستقبل وردية جاشت في قلب ميونغ، استقاها من المقررات الدراسية التي حملت صورا زاهية، وقصصا شيقة عن شخصيات ناجحة خدمت وطنها، فحلم أن يكون مهندسا يبني البيوت، ويخطط الطرقات، أو طبيبا يعالج المرضى، أو مخترعا عبقريا. متذكرا مقولة أبيه، أن تكون أحلامه باتساع الحياة، وفي خدمة الناس جميعا.

***

أصوات القنابل المتتابعة أيقظت سكان بوهانج والقرى المحيطة بها، إنها الحرب الكورية الأهلية التي اندلعت في يونيو من العام ١٩٥٠، وتحولت بوهانج ساحة كبيرة للمعارك بين قوات كوريا الجنوبية المدعومة من الأمم المتحدة، وقوات كوريا الشمالية المدعومة من الصين والاتحاد السوفيتي.

وكأن الوطن الكوري موعود بنار الحرب إما من اليابانيين أو الصينين أو البريطانيين، كلما خبت، اشتعلت، ولكن هذه المرة، بين شطري كوريا، شمالها وجنوبها، سيتمزق الوطن، وسيتقاتل أبناؤه، والضحايا هم البسطاء والأطفال.

احتمى الناس بملاجئ بسيطة حفروها في باطن الأرض، فبيوتهم الخشبية والطينية لا تصلح ملاذا، وعليهم التفكير جديا في الرحيل إلى مناطق آمنة. ولكن الأحداث تلاحقت، أسرع مما يسمعه الناس من أخبارٍ؛ تتوارد متقطعة في نشرات وصحف محدودة تصدر من آن لآخر، عن إحدى الكتلتين المتصارعتين: الشماليين أو الجنوبيين، أو تبثها الإذاعات

الأجنبية، في الصين واليابان والاتحاد السوفيتي، وتلتقطها أجهزة الراديو القليلة بين أيدي الناس. أخبار عنوانها القتل لأبناء الوطن الكوري، والدمار لكل عمرانٍ على أرضه.

نقل تشونغ زوجته وأطفاله إلى منزل أخيه مؤقتا، فلا يمكن استمرارهم في نفس البيت، أثناء الحرب، فقد آثر المكوث في المزرعة لرعايتها، فهي مصدر رزقه الوحيد، وقد هجرها العمال المساعدون له، ووثق فيه صاحب المزرعة، وترك له كل شيء ليديره.

- إنها الحرب يا بني، أغلقت كل شيء.

كانت إجابة الأم تاييون، عن سؤال ابنها الصغير ميونغ، عندما استفسر عن عدم ذهابه للمدرسة الابتدائية، الفراغ يملأ وقته، حتى اللعب في حواري القرية وأزقتها لم يعد متاحا للصغار، كلهم حبيسو البيوت، وعندما تقترب أصوات الانفجارات منهم، فإنهم يفرون مع أمهاتهم إلى الخنادق أو الأنفاق التي حفرها أهل القرية وجعلوها عميقة، لعلها تكون حامية مُنجية.

ولأن الانفجارات بلا موعد، مثل أحداث الحياة، فإن مشهدًا حُفِر في ذاكرة الطفل ميونغ، الذي كان جالسا في أحد أيام الحرب بالمنزل، وتتناهى إلى سمعه أصوات القنابل، ودويّ الرصاص من بعيد، لن يقترب من القرية، في هذا الوقت. يبكي الرضيع سانج بيل، الذي لا يزال في عامه الأول،

فأشارت الأم لابنتها "جوي إي"، ذات الأحد عشر ربيعا، لتسارع لشقيقها، فحملتْه، وهدهدته مرات كثيرة، ولكن بكاؤه لم ينقطع، فكان لزاما أن تخرج به إلى حديقة المنزل الأمامية على عادتها معه، حيث يستكين الصغير، ويهدأ مع رؤية الأشجار.

دقائق وارتفعت صرخات الأم، وزوجة العم، ونساء الجيران. لقد سمعوا انفجارا قويا، وارتطاما مزلزلا للبيت، وما حوله من بيوت، وعندما نظرت الأم لأولادها وجدتهم جميعا منزوين خائفين، عدا ابنتها جوي إي، وصغيرها سانج بيل.

إنها ثوان، مرّت كالدهر على تاييون، وهي تركض إلى خارج المنزل، فقد أدركت أن ابنتها أخذت صغيرها إلى الحديقة.

كان المشهد أمها: الحديقة محترقة، والدماء متناثرة، البنت والصغير ملقيان على العشب، والدم نازف من ظهريهما، ومن جبهتيهما، مع حروق بالغة في بقية جسديهما، كانا لا يزالان حيّينِ، وأجفانهما تتحرك ببطء، مع أنين تقطعه صرخات عنيفة.

ولأن السنين علّمت تاييون خبرات عديدة، فإنها تماسكت، وطلبت من زوجة العم، حمل البنت والصغير إلى داخل البيت، ثم أسرعت تاييون باتجاه الجبل القريب من القرية، حيث تكثر النباتات البرية.

ارتقت الجبل، وتنقلت بين صخوره، متفحصة الشجيرات النابتة، حتى عثرت على نبات المرمية، الشافي للجروح سريعا، فقطعت منه وحملت

الكثير. وعندما عادت إلى البيت، صنعت منه معجونا، وضعته على جراح ولديها.

تمتمت زوجة العم بضرورة نقل الطفلين إلى المستشفى في مدينة بوهانج، فحالتهما خطيرة، ولكن تايبون هزّت رأسها رافضة، فالطريق غير آمن، كما لا توجد صيدلية في القرية، وحتى إن توافر الدواء، فلا مال لديها لتشتريه. كان ميونغ منصتا لكلمات الأم الباكية، وهي تضمد جراح شقيقته الحنونة وشقيقه المسكين، اللذين أخلدا إلى نوم متقطع، أقرب إلى الإغماء.

في اليوم التالي، حضر تشونغ، فقد أخبره بعض أهل القرية العاملين بالقرب منه. وحين قرر تشونغ المجيء، اختار ظلمات الليل، لتكون سترة له، وفاجأ زوجته وأولاده وهو يطرق الباب بعد منتصف الليل.

قبّلَ دامعا طفليه المحترقين، وحكى لزوجته ما يقوله الناس بأن القرية مستهدفة من الطائرات الأمريكية، فقد تسربت معلومات لقوات الجنوبيين؛ أن الشيوعيين المناصرين للصين والاتحاد السوفيتي مختبئون بين أهلها.

***

قررت الأم تايبون أن يرحل أبناؤها، على أن تبقى هي لرعاية صغيريها المصابينِ، فحزمت أمتعة الأسرة: الملابس، وآنية الطبخ، والمفروشات

البسيطة، وأسئلة عديدة تطلّ من عيون أبنائها، الذين سمعوا الانفجارات، ولكنهم لا يريدون مفارقة القرية التي أحبوا أهلها، وفيها أعمامهم، وأقرباؤهم، ولكن الأم صامتة، وملامحها جامدة، والأب يلاحقها أن تصبر قليلا، عسى أن تكف المدافع عن الهدير، والدبابات عن المسير، ولكن الأم صاحت به:

- عليكم أن ترحلوا إلى الجنوب، هناك أمان.
- لا أستطيع يا تاييون، إنني مسؤول عن المزرعة، وفيها أبقار وأغنام، ستموت إذا تركناها.
- وهل تنتظر أن يموت أولادنا كلهم يا تشونغ؟

صمت الأب، وتطلع نحو أولاده، والحنان والخوف يطلان من عينيه. قالت تاييون:

- لقد سقطت بوهانج في أيدي الشيوعيين المؤيدين للصين، وغالبية الناس سيرحلون.
- وماذا عن المزرعة؟ أنا أمين عليها، وهي مصدر رزقنا الوحيد!
- إن صاحب المزرعة نفسه قد رحل.
- حسنا، ليرحل الأولاد، وتبقين أنت لحين شفاء الصغيرين، وسأبقى أنا في المزرعة، إنني أستطيع أن أدبر أمر نفسي.
- هل ستتركهم يرحلون وحدهم يا تشونغ؟

- لا، سأكون معهم، حتى يستقروا في مكان آمن، وأطمئن عليهم.

أكملت الأم حزم بقية الأمتعة، فيما غادر الأب المنزل، ثم عاد وقد استأجر عربة خشبية، يجرها حصان، وراح يرتب الأمتعة فوق سطح العربة، ثم أجلس الأولاد، وجلس هو بجانب الحوذي، بعدما أغلق باب البيت على الأم وابنيها المصابين، وتحركت العربة متخذة طرقا فرعية، بعيدة عن الطريق الرئيسي، الذي سيطر عليه الشيوعيون، وراحوا يتجولون في القرى بأسلحتهم.

الطريق وعر، وهناك مئات من القرويين الفقراء تركوا بيوتهم ومزارعهم، وغادروا على أقدامهم، يحملون على ظهورهم أمتعتهم البسيطة، فإذا تعبوا؛ ارتكنوا أسفل الأشجار، وأكلوا بعضا من ثمارها.

الأجساد منهكة، والألسنة صامتة، والناس متعجلة للوصول، وكثير منهم نظروا بحنق إلى عائلة لي تشونغ التي تعتلي عربة خشبية، فهمس الأب إلى الحوذي، فطأطأ رأسه موافقا، ثم أشار الأب إلى بعض النسوة، اللائي يحملن أطفالا أن يركبن معه في العربة، وكذلك فعل بقية راكبي العربات، فاستراحت النفوس.

وبدا المشهد من بعيد: عربات خشبية تجرها الأحصنة، عليها البشر والأمتعة، أو أحصنة وحيوانات تحمل أمتعة ويسير بجانبها أصحابها، وهناك الماشون، يحملون الأمتعة على ظهورهم.

وصلت الأسرة إلى قرية في الجنوب، لم يكن أمام تشونغ إلا بناء كوخ خشبي، من غرفة واحدة، لتعيش فيه أسرته، وسرعان ما تراصت بجوارها الأكواخ الخشبية.

عاد الأب إلى المزرعة، على وعد أن يأتي لزيارة أسرته كلما سنحت الفرصة، وقد أوصى بعض نساء الجيران بالعناية بأولاده، تاركا بعض المال لشراء ما تيسر من طعام، والذي لم يزد عن الحليب والجبن والزبد، وبعض الخبز الذي يُخبّزُ في أفران طينية جافة، نصبوها أمام الأكواخ الخشبية.

وكعادة الأطفال، لا ينشغلون كثيرا بصراعات الكبار، وقد وجد الطفل لي ميونغ وأشقاؤه ساحةً كبيرة للعب، مع أطفال العائلات الأخرى، فلم تعد أصوات القنابل تدويّ في مسامعهم، وما عادوا يهربون للاحتماء في الخنادق والأنفاق، قليلة الهواء تحت الأرض.

تفاجأ الأولاد بقدوم الأم بعد شهرين من مغادرتهم، برفقة أبيهما، الأم دمعها لا ينقطع، والأب متجهم عابس، ولكنه متماسك. كان الخبر مفجعا؛ مات الصغيران، الأخت والأخ، ودفنهما الأب بنفسه في مقبرة العائلة، بكى الأشقاء كلهم، والأم تتمتم:

- أنا السبب في وفاتهما، لم أنتبه لخروجهما، ولم أسارع بنقلهما إلى المستشفى.

نظر الأب إليها، وإلى أولاده وردد المثل الشعبي الدارج:

- ادفن أحبابك في قلبك.

العيون الدامعة، لم تفهم مغزى المثل، فأوضح الأب:

- أحبابنا يعيشون في قلوبنا وهم أحياء، وأيضا وهم أموات.

***

لم يُمحَ من ذاكرة ميونغ المشهد الدامي، لشقيقته، وشقيقه، وهما مسجيان على ظهريهما، والدماء تنهمر منهما، وجسداهما محترقان.

وعندما كان مديرا لشركة هيونداي العالمية، تعمّد أن تغزو منتجات شركته أسواق الصين وروسيا، وأن يكتب عليها صنع في كوريا، كأنه يذكّر هذين الشعبين بما اقترفته جيوشهما من آثام ودماء بحق الكوريين، وأيضا أراد أن يرد اعتبار أخته وأخيه في قبريهما، إن لم يكن أمام العالم، فعلى الأقل أمام نفسه هو.

***

أخبار سعيدة، تناقلتها الألسنة، بأن القوات الكورية الجنوبية نجحت في استعادة بوهانج، وأن القرية صارت آمنة، قررت الأم العودة مع أبنائها، دون انتظار تشونغ، الذي انقطعت أخباره منذ أشهر طويلة، ولكن كان يرسل رسائل شفهية مع بعض القادمين للأم.

طيلة الطريق، كانت تاييون تبتهل بالدعاء، أن يكون زوجها في أطيب حال، فالقلق مستبد بها، حتى أن دموعها تسيل في قطرات على ثيابها، وأولادها ينظرون إليها باكين.

طيلة الطريق شاهدوا بقايا الأسلحة المحطمة من دبابات ومدافع وطائرات، وأصوات محذرة ألا يقترب أحد منها، فربما تكون هناك دانات لم تنفجر. إنها أجواء ما بعد الحرب، اللون الأسود يكسو كل شيء: البيوت، والحقول، والأشجار، فالموت قد بسط سطوته.

وصلت الأسرة إلى القرية، البيت غير مدمر، هو كما هو، وكأن القنابل عميت عنه، وعندما طرقوا بابه، تفاجأوا؛ فالذي فتح الباب كان تشونغ، معافي سليما، عانقته تاييون، وارتفعت ضحكتها صاخبة، وقفز الأولاد إليه، يعانقونه بشوق، ويتحسسون وجهه ويتشممون جسده.

***

- المزرعة احترقت، والماشية ماتت، وعليّ البحث عن عمل.

هكذا أخبرنا أبي، عندما وجدناه وحيدا في المنزل، مفلسا، حزينا، طعامه جذور البطاطا ينتزعها من الأرض، أو بقايا الأرز في أجران الحصاد. جسد الأب هزيل، ولكن عينيه تنطقان بالعزيمة، إنه لا يعرف اليأس، خاصة أن عيون أولاده تتطلع إليه برجاء.

ربتت الأم على كتفي الأب، وراحت تعدّ طعاما من النباتات في حديقة البيت.

التفّ الأولاد حولها بعدما أكلوا، وامتلأت بطونهم، ثم أشعلت النار، وراحت تعد شاي الأعشاب الذي يعشقه تشونغ، على قلة الطعام،

وبساطته، كانت ألذّ وجبة تتناولها الأسرة، بعد حرب لم تترك مبنى أو حقلا أو بشرا إلا اكتوى بلهيبها.

ولكن لابد أن تستمر الحياة، وهكذا لملمت الأسرة جراحها، واحتضن الوالد أبناءه، الذين تناقصوا إلى أربعة، وارتسم الزمن والشقاء على وجه الأم، ولم تفتأ أن تزور فلذة كبديها: جوي إيل، وسانج بيل، في قبريهما بالقرب من الجبل، ثم تعود لتباشر شؤون بيتها.

❊ ❊ ❊

لا تدع الفقر يخنق أحلامك

إنها التجربة الأولى للطفل ميونغ، في العام ١٩٥٣ في عالم التجارة، كان في الثانية عشرة من عمره، عندما أخذه والده "تشونغ" معه إلى سوق بوهانج.

كعادته، الأب طوال الطريق صامت، إن لم يكن شاردا، والسيارة تئن بهما على الطريق غير الممهد، الذي يصل القرية بالمدينة. لم يشأ ميونغ سؤال أبيه عن وجهته، أدرك أن أباه يخطط لما هو قادم، وربما لا يخطط يتركها لرزقه، كيفما اتفق، ولكن الحقيقة التي يؤمن بها تونغ، أن أباه لا يعرف الكسل، ولا البطالة، فإذا كان قد فقد عمله في المزرعة، فحتما سيبحث عن عمل آخر.

وعلى غير عادة الأب، فقد اصطحب هذه المرة نجله ميونغ، وترك أشقاءه الكبار، لم يجد ميونغ تفسيرا، ولكنه واثق أن أباه يدرك ذكاءه ولماحيته، فأراد أن يعلمه المزيد.

اعتاد الوالد في الأسابيع الأخيرة أن يذهب إلى الأسواق المجاورة للقرية: أسواق الخضار والفاكهة، وأسواق الآنية والأقمشة. وفي كل مرة، كان الأب يذهب خاوي الوفاض، ويعود ومعه بعض المال القليل، ثم يحكي لأولاده عما تاجر به في نهاره، وهو يحتسي الشاي الكوري، في أكواب متلاحقة، ثم يمد يده إلى تاييون، ويعطيها بعض ما ربح لنفقة البيت.

تاجر تشونغ في الخضار والفاكهة، وحمل على ظهره السلال المملوءة بالثمار، مفضلا اختيار مواضع بعينها في القرية أو في المدينة ليبيعها.

كسبَ تشونغ، وأحبه المشترون، لأنه راض بالربح القليل، وكان يقول: "أشعر بمعاناة الناس بعد الحرب، بل أنا أعيش هذه المعاناة، فلماذا لا أساعدهم؟

ويقول أيضا: يمكنني أن أربح كثيرا، ولكن لن يشتري أحد مني مرة ثانية، الربح القليل، يعني محبة الناس". إلا أن مهنة بيع الخضار والفاكهة يعمل فيها كل من هب ودبّ، فآثر تشونغ البحث عن تجارة فيها قد تستمر معه، ويجد المزيد من الربح دون استغلال.

يخطو ميونغ سوق بوهانج الكبير، كل شيء يباع في بسطات على الأرض، وهناك محلات صغيرة. كأن تشونغ يعرف وجهته، فسار وابنه من خلفه، حتى وصل إلى محل يبيع أقمشة. سرعان ما خرج صاحب المحل مرحبا بحرارة بتشونغ، ثم دعاه إلى الدخول.

"بائع أقمشة" هي الوظيفة الجديدة لتشونغ، وكان صاحب المحل صديقا قديما لتشونغ، قد عملا معا في جزيرة أوساكا في اليابان، واتفقا اليوم أن يأخذ تشونغ كميات من الأقمشة، ويبيعها، ثم يرد رأس المال إلى صديقه.

اكتشف تشونغ أن كل تجار الأقمشة يغشون في قياس الأمتار، ويوهمون المشتري أنهم أعطوه المزيد، فرفض فعل ذلك، وآثر الأمانة والوضوح في بيعه.

يراقبه نجله ميونغ وهو يقيس بدقة، ثم يعطي قطعةً هدية، مُخبرًا المشتري أن يقيسها عند تاجر غيره ليتأكد بنفسه. أسابيع متتابعة، وأقبل عليه الناس، وكان أكثر زبائنه من النساء، من قريته ومن القرى المجاورة، وهؤلاء كن يشترين بالأقساط، وكان تشونغ كريما معهن.

باع كثيرا، ولكنه ربح قليلا، لأن تشونغ التزم بتقاليد مجتمعه، فلا يسأل امرأة عن اسمها ولا عنوانها، بل يكتفي بتعهد منها، أن تدفع له الأقساط بشكل منتظم، بعضهن التزمن، وأكثرهن تدفع القسط الأول، والثاني، ثم تتكاسل أو تنسى. وفي جميع الأحوال، لن يطالبها تشونغ ببقية المال، فلا سجل يدوّن فيه، ولا تحتفظ ذاكرته بتفاصيل، وسرعان ما أفلس، وتطاير رأس المال الذي بدأ به تجارة القماش، لتجد الأسرة نفسها بلا نفقة.

***

توجب على الأسرة الرحيل، فقد ضاق الرزق بتشونغ، وضاقت به القرية أيضا، فلا أرض زراعية يملكها، ولا صناعة يمتهنها.

حملت الأسرة أمتعتها، وتنقّلت بين أمكنة عديدة، تنأى في كل مرة عن بوهانج، حتى استقرّ بهم الحال، مع أسر أخرى في موقع معبد قديم، عبارة عن دير ياباني مهجور، فازت فيه الأسرة بغرفة، وتشاركت معها الأسرُ الأخرى بقيةَ الغرف.

لا مرحاض ولا ماء عذب، المكان أقرب إلى القفر، ومع ذلك تحمّلت الأسرة، فحولها أسرٌ لا تجد طعاما، بل مات بعض أطفالها وشيوخها عوزا،

وطوال اليوم هناك أنين وصراخ، بسبب الجوع أو المرض أو صرخات عالية لوفاة جديدة.

الحياة بعد الحرب ليست شاقة فحسب، وإنما هي مستحيلة، فالأرض مدمرة، والبلاد منقسمة، وطوائف الشعب متصارعة.

يوم أسرة تشانغ شاق للغاية، الكل يخرج للعمل، الأب والأم، والأولاد الذين كبروا، وباتوا يمكنهم العمل في أية حرفة ولو صعبة، المهم أن يكسبوا بعض المال، وأن تمضي الحياة.

تصر الأم أن توقظهم في الرابعة صباحا للصلاة، ولتلاوة الأدعية، يتأففون، ويتمردون، وسرعان ما تتساقط رؤوسهم على فراشهم، فتتلقفهم كف الأم، لتنبّههم من جديد، ومع مرور الوقت، اعتادوا أن تكون إغماضة عيونهم مبكرة، عندما تشتد الظلمة بعد الغروب، ليكون استيقاظهم قبل الشروق، حيث يفطرون أرزّهم، قبل أن يسعى كلٌّ إلى رزقه.

اختارت الأم بيع الفاكهة في سوق بوهانج، هكذا أخبرت زوجها، وقد فضّلت أن تكون طاولتها التي ترص عليها ثمارها، في آخر ركن بالسوق، حيث يخفّ الزحام، ويأتيها الزبائن الذين يحرصون على اختيار أجود ما في السوق.

اصطحبها ميونغ مرات. فمنذ أن كان في الخامسة من عمره، كانت تبقيه بجانب الطاولة، ريثما تقضي بعض الحوائج، فتعلّم ساعتها، كيف يحمي

الفاكهة، ويصرخ إن حاول أحد سرقتها، وعندما تصل أمه، وتجده معتليا الطاولة، منتصبا مثل شجيرة البوتساي، تضاحكه، وتعطيه بعض الفاكهة ليلتهمها.

وعندما كانوا يعودون في نهاية اليوم، يضعون في إناء صغير ما كسبوه جميعهم، والذي ساعدهم فقط على الاستمرار في الحياة.

كان طعامهم اليومي أرزا فقط، ومن أسوأ أنواع الأرز، يتناولونه مرتين يوميا، عند الإفطار قبل خروجهم للعمل، وعند الرجوع في المساء.

***

ذات مرة، نادت عليه أمه في السوق، وكان مرتكنا يستريح، بعدما فرغ من مساعدتها:

- ميونغ، انظر إلى محل بيع الزيت القريب منا، الأخت الكبرى لصاحب المحل ستتزوج، لماذا لا تذهب لمساعدتهم؟
- ولماذا أذهب، وعندهم من يساعدهم؟!
- على أسرة العروس واجبات كثيرة وقت العرس، وكما ترى هم فقراء.

امتعض ميونغ، وذهب على مضض، فنادته أمه، وهمست له:

- لا تأخذ أي مقابل على مساعدتك، حتى لو دعوك إلى طعام أو عصير، فاعتذرْ منهم.

فوجئ أهل العروس بالفتى آتيا، يعرض عليهم المساعدة، فنظروا إليه بامتنان، وسرعان ما مدّ ذراعيه، وراح يحمل عنهم بعض الأثاث، ويشارك في تنظيم احتفالية العرس، وعندما دعوه إلى مأدبة الطعام المعتادة، اعتذر بأن عليه العودة سريعا لمساعدة أمه.

في مرة أخرى، كان ميونغ متمددا على فراشه في البيت، فنادته أمه أن جيرانهم انهار جزء من البيت، وعليه أن يساعدهم في ترميمه، فهم فقراء.

انتبه ميونغ، وتطلع لأمه التي كانت نظراتها حاسمة، وحانية في آن، فلم يشأ إغضابها، فسارع بالذهاب، واستغل خبرته في عمله في صبغ الجدران من قبل، فكان خير عامل. ناداه رجل البيت أن يتفضل للعشاء معهم، فقد تعب معهم كثيرا، ولكنه كان قد تحرّك خارج البيت، وهو يتمتم معتذرا، بأن وراءه أشغال تتطلب عودته للمنزل. وعندما عاد، قال لأمه إنه جائع جدا، فردّت عليه:

- أمامك ساعة، كي أطبخ الأرز، ونتعشى جميعا.

في مرة ثالثة، أشارت أمه إلى جيران، يسكنون في المنطقة، ولديهم احتفال بعرس، فتململ ميونغ، وقال:

- إنهم أغنياء يا أمي، وعندهم كثيرون يساعدونهم.
- نحن نساعد الغني والفقير، جيراننا أقرب إلينا من أقربائنا.

وقف ميونغ، ومشى مضطرا، وكم كانت سعادة هؤلاء الجيران، وهم يرون فتى صغيرا، يأتي إليهم، ويستأذن أن يساعدهم في أي عمل يحتاجون إليه، شكروه ولكنه أصرّ، وقام ببعض الأعمال، وهو عائد إلى البيت، أعطاه الأب كبير الأسرة صينية ملفوفة، بها أطعمة فاخرة من الاحتفال. فهو يعلم أن أسرة تشونغ فقيرة، وأن هذه خير طريقة لمساعدتهم، ولكن ميونغ رفض بأدب، قائلا:

- لقد جئت لمساعدتكم فقط، أرجوك، إن أمي ستغضب كثيرا لو أخذت شيئا.

بمرور الوقت، اعتاد أهل السوق، وأيضا أهل الحارة التي يسكنون فيها، أن يجدوا واحدا من أبناء تشونغ قادما لمساعدتهم في أوقات الشدة أو في الأفراح، وفي كل مرة، يغادر الابن معتذرا عن قبول أي شيء، فكان الناس ينعتون هذه الأسرة: "أنهم متعففون مخلصون وليسوا متذللين"

ومن أيامها، حرص ميونغ الذي تدرج في مناصب كثيرة في الشركات وفي الدولة، حرص على تقديم المساعدة، وبذل العطاء، متى استطاع إليه سبيلا.

فكان عمال شركة هيونداي الصغار، يجدونه قادما إليهم في بيوتهم، إذا تناهى إلى علمه أزمة يمر بها العامل، أو أن لديه احتفالا، وفي كل مرة، كان

يقدم المال، أو يقدم هدايا، وكثيرا ما كان يشمّر ميونغ عن ذراعيه الطويلين، ويساعدهم.

***

الأجمل في هذه الحياة، أن الأولاد استمروا في الذهاب إلى المدرسة، يمضون للعمل بعد انتهاء يومهم الدراسي، ثم يعكفون في المساء، وعلى فتيل متوهج، يذاكرون، ويكتبون واجباتهم المدرسية.

الأب تشونغ والأم تاييون، كلاهما أصرا على ذهاب أولادهما، حلما أن يكونا أولادهما ذوي شأن، ولا طريق أمامهم إلا التعليم.

استمر الابن ميونغ في التعليم، وهو الآن في الصف الخامس الابتدائي، وكانت هيئته الرثة، سببا في سخرية زملائه والمعلمين منه، فخدود وجهه وأرنبة أنفه دوما محمرتان، بفعل الأرز المخمَّر، الذي له تأثير الكحول، ولذا، كان ميونغ يسير مترنحا أحيانا، فأطلقوا عليه المنحرف، والحقيقة أنه نتاج صنف واحد يأكله من الطعام لا غير.

ما أقساه وقت الفرصة المدرسية! التلاميذ يتناولون طعامهم، أما ميونغ فليس أمامه إلا الذهاب إلى صنبور الماء، ليملأ بطنه، لعله يغالب الجوع، وليهرب من عيون زملائه. يحدث ذلك في الأيام التي يكون جيبه خاليا فيها، فلا عمل يمتهنه، أو عندما يكون أبوه متعطلا، فلا يعطيه مصروفا يوميا.

وعندما تطلب منه المدرسة دفع المصاريف، ويصرون على ذهابه للبيت، كان ميونغ يتجول حول المدرسة، صاعدا المرتفعات خلفها، فلا أحد في البيت، ولا مال أيضا.

فإذا سأله المعلمون عن المصاريف ثانية، طلب مهلة، وتعلل بعذر، سيغيره حتما في المرة التالية. يعلم أن دفع المصاريف حتمي، ولكنه ينتظر حتى تجمع الأسرة بعض الينّات.

ذات مرة همس أخوه الأكبر لأبيه عن مصاريف مدرسته، فتغير وجه الأب، وتذكر كيف كان يرسل ما ادّخره من مال، ليستكمل ابن أخيه تعليمه المدرسي، على أمل أن يرد العم أو ابنه هذا الدين يوما، ولكن هيهات، فالعم فقير، وابن العم منشغل بحياته.

***

توجّب على ميونغ كي يصل إلى مدرسته، المشي أربع ساعات يوميا، ساعتين في الذهاب، وساعتين في الإياب، يتحمل البرد القارس، ويتقي لسعاته في وجهه بكفيه، بينما تستقر حقيبته على ظهره.

وفي أيام كثيرة، عليه أن يبحث عن أي عمل، أو تجارة، عقب خروجه من المدرسة، وإلى حين عودته للمنزل مساءً.

فباع أعواد الكبريت التي كان يصنعها بنفسه، حيث يقطّع الأخشاب إلى أعواد صغيرة، ثم يغمسها في الكبريت، ويتركها لتجف، ومن ثم يضمها في لفائف، ويرتكن في أية ناحية أو ناصية ليبيعها.

وإذا ربح بعض المال، استثمره في صنع وجبة الكيمباب، المكونة من طحالب بحرية ملفوفة، ومحشوة بالأرز، يبيعها للجنود قرب الثكنات العسكرية، كما أجاد صنع قطع الكعك من دقيق القمح، ودأب على بيعها للجنود أيضا، حتى أمسكه جندي من الشرطة العسكرية، وأوسعه ضربا، فلم يكررها ثانية.

***

تتالت السنون، إنه الآن في الصف الثامن، في المرحلة الإعدادية، ما أروع التمسك بالأمل! يعمل في الإجازة الصيفية، وكذلك إخوته، تتجمع مدخرات الأسرة عند الأم، فيدفعون مصاريف المدارس على أقساط، أو يشترون بها الضروري. لم يَلُمْ والديه على فقرهما، فأبوه يسابقهم في العمل، ويأكل القليل، مفضلا أن يطعمهم بيده. يقارن ميونغ بين حالهم وحال بقية الأسر حولهم، كلهم فقراء، معوزون، ولكن ثمة فرقا واحدا يميّز أسرة تشونغ، إنه التعليم الذي يجاهد من أجله الوالدان، ويتخيلان في خلواتهم المسائية مستقبل أولادهما بعد سنوات، عندما يكونون أشخاصا ناجحين، ومعهم مال كثير.

***

وهنٌ شديد، ثم مرض غامض ألزم ميونغ الفراش مدة ثلاثة أشهر، تفرغ أمه من أعمال البيت، ومن بعض الأعمال التي تقوم بها في السوق، ثم تعود إليه تمرّضه، وتمكث بجانبه، تحكي له عن ذكرياتها، وعما صادفته اليوم من مفارقات في عملها بالسوق.

امتلكت أمه ذاكرة حديدية؛ تحفظ أسماء الأشخاص والأمكنة والأزمنة بكل دقة، وكأن عقلها سجل مكتوب، فمتى سألها ميونغ أو والده أو أحد أشقائه عن شيء، إلا تسارع بالجواب، وأحيانا بلا تفكير، وكأن الإجابة جاهزة على لسانها.

حكت له أمه كيف أنها ذهبت إلى المدرسة الابتدائية عدة سنوات في طفولتها، ولكنها لم تحصل على الشهادة الابتدائية، إلا أنها أجادت القراءة والكتابة والحساب، ولا تزال تتذكر ما تلقّته في المدرسة إلى يومها.

أدرك ميونغ حقيقة مرضه، وهو يتأمل هزاله جسده، الذي أضحى شبه معطوب، بفعل قلة الطعام، ورحلة الساعات الأربع، التي كان يقطع فيها ما يقارب عشرين كيلو مترا، ذهابا وإيابا، غير آبه بالسيارات الغادية والرائحة، ولا حتى بالعربات الخشبية أو الدواب.

آثر الفتى أن يظل في الفراش، فلا مال لدى الأسرة للذهاب إلى طبيب أو مستشفى، يكفيه أن يمكث في فراشه، الذي هو مرتبة على الأرض، يريح جسده من الإنهاك.

ثلاثة أشهر، قضاها قارئا في كتبه المدرسية، وكُتب أشقائه. شعر بتحسن بطيء، فاستمر، حتى عادت إليه العافية من جديد، وعاد إلى روتين حياته، سعيدا بأن مرضه لم يكلف أسرته إلا الطعام.

اكتشف خلال مرضه، أنه الأقصر طولا بين أفراد أسرته، ربما لسوء التغذية الذي لازمه منذ طفولته، ولكنه يحمد الله، أن عوّضه بذراعين

طويلين، فهما أطول بأربع بوصات من ذراع أي شخص في سنه، ولذا أسموه في الحارة وفي المدرسة: الولد ذو الأذرع الطويلة.

***

ظل الداء معه، فبعد سنوات عديدة، عندما جاءه خطاب التجنيد الإجباري في الجيش الوطني الكوري، كان وقتها يعمل مساعدا لأمه في السوق. كما عمل في حرف أخرى لتدرّ عليه مالا، فيساعد أبويه في نفقات المنزل، وأيضا في دفع أقساط مدارس أشقائه.

يا لها من أزمة، سيتغيب أكثر من عامين في الجندية، ولكن الجندية واجب لابد منه.

استقل مواصلات عديدة حتى وصل إلى مركز الخدمة العسكرية، حيث الفحوصات الطبية، التي تسبق التحاقه.

أطباء يلبسون المعاطف البيضاء، ويضعون السمّاعات في آذانهم، وعلى أكتفاهم شارات لرتب عسكرية. انعقد لسانه، في هذه الأجواء الجديدة عليه، والمختلفة عما ألفه. الحقيقة الوحيدة المستقرة في نفسه، أنه سيلبس الزي العسكري اليوم أو غدا، ولن يرى أمه وأباه وإخوته إلا بعد أشهر.

يقف في طابور ممتد، لينتهي به الحال عند أحد الأطباء، فيكشف عليه صامتا، ثم ينتقل إلى طابور آخر. وفي كل مرة، كانت علامة حمراء -لم يفهمها- توضع في البطاقة الصحية التي يحملها، هي بلاشك تأشيرة

روتينية، ولم يكلف ميونغ نفسه بتفحص بطاقات زملائه حوله. عندما وصل إلى الطبيب الأخير، كان كهلا في الخمسين، تتكاثر الرتب العسكرية على كتفيه، نظر إليه متفحصا، وقال له باقتضاب:

- عُدْ يا بني من حيث أتيت، أنت لا تصلح للخدمة العسكرية.

لم يصدق ميونغ..، بل لم يعِ ويفهم ما حدث. حالة ذهول تلبّسته، ولكن الوثيقة التي حملها في يده، التي تفيد بإعفائه من الخدمة العسكرية؛ أخرجته من الذهول إلى الواقع، ليعود أدراجه إلى بوهانج، حيث اتجه مباشرة إلى موضع أمه في السوق. فلّما رأته تايبون أمامها، لم تصدّق عينيها. أجلسته بجانبها، وأنصتت لها، وهو يحكي كل ما حدث، وعندما فرغ، قالت:

- آسفة يا بني، لم أعلم أن صحتك بكل هذا السوء، سامحني.

ثم صاحت معاتبة نفسها:

- كل هذا بسبب الأرز السيئ الذي كنت أطعمه لكم وأنتم صغار. سامحني يا ميونغ، لم أعتنِ بك جيدا، آسفة جدا.

ظل معها في السوق، يساعدها في أعمالها، وعادا معا في المساء، حيث أسرعت بعمل أحلى وجبة أرز على البخار، ووضعت بيضة بجانبه. أكل ميونغ بشراهة، فأسرته من شدة فقرها، كانوا لا يأكلون البيض إلا مرة أو مرتين كل أشهر، ثم توجه شاكرا لأمه، فهي مأدبة عشاء فاخرة.

وفي هذه الليلة، بكيا كلاهما طويلا، ثم هدأها ميونغ، قائلا إن ما حدث هو فرصة عظيمة له، ليكمل دراسته الجامعية، وليواصل مساعدتها في السوق وفي النفقة.

***

لم يكن أبوه بمعزل عن كل هذا، كان يتقلب في أعمال عديدة، بعضها في مزارع بعيدة، وبعضها تجارة بسيطة في الأسواق، وعندما كان يعود إلى أسرته، يكون مجهدا، ويخلد سريعا إلى النوم، بعدما يتعشى مع أولاده، ويسمع بعضا من أحاديثهم، ثم يتمتم لزوجته، فتربت على ظهره، وتدعوه للراحة. كانت توقن أن تشونغ كبر وشاخ لحياته القاسية، وعمله الشاق.

❊ ❊ ❊

الحجر المتدحرج لا تتجمع عليه الطحالب

عندما أراد ميونغ الالتحاق بالمرحلة الثانوية، ألحّ عليه والداه أن يكتفي بالمرحلة الإعدادية، ويخرج إلى مهنة ثابتة في سوق العمل، أو يستمر في مساعدة أمه في عملها بالسوق؛ على أمل أن يدعم شقيقه سانج دوك الذي حصل على الثانوية، وذهب للدراسة في الجامعة في العاصمة سيول، وسيتخرج خلال سنوات.

شعر ميونغ بالغيرة وقتها، وعارض أمه في طلبها، ولكنها أفهمته بهدوء أنها تفضل أن يتأخر قليلا في التعليم، حتى ينتهي سانج دوك من الجامعة، وساعتها سيعمل، ويساعد ميونغ في إكمال دراسته، أو على الأقل، تنزاح عن الأسرة عبء شقيقه في الجامعة.

وقالت له ساعتها:

- ميونغ، يمكنك أن تعمل، وتصبح ثريا، دون الحصول على الجامعة، لبعض الوقت. كن معي يا بني، حتى يتخرج شقيقك.

ناداه شقيقه سانج دوك، وربت عليه بحنان قائلا:

- إنني مدين لك ولأبويّ على وقوفكم معي، وأعدك أن أكون عونا لك عندما أتخرج.
- أريد أن أدخل الجامعة.

- وأنا أؤيدك، انتهِ من المرحلة الثانوية، وأكمل في الجامعة، وواصل العمل أيضا.

وأـردف سانج وهو يمسك بكف ميونغ:

- انظر إلى شقيقنا الأكبر، إنه اكتفى بالمرحلة الإعدادية، وعمل في التجارة، ليساعد الأسرة. كلنا يد واحدة، كلنا واحد.. ونجاح أي واحد منا، نجاح للأسرة.

نزلت كلمات سانج بلسما على قلب ميونغ، فسارع بتقبيل كفي أمه ورأسها، التي حضنته، وهمست له:

- سأقول لك سرا، كتمتُه عنك منذ ميلادك.
- ماذا يا أمي؟
- وأنا حامل بك، وبطني منتفخة، وأتوجع من الألم، حلمتُ بالقمر مكتملا، ساطعا في نوره، وأن نوره عشعش في ملابسي، وملأ جسدي، وفاض على بيتنا، وعلى القرية والحقول من حولنا.
- إنها بشارة رائعة يا أمي.
- سأكمل لك يا بني، استيقظت وأنا في غاية السعادة، واستبشرت بك خيرا، وأخبرت والدك بهذا الحلم، فوعدني أن أقوم أنا بتسميتك، سواء كنت ولدا أو بنتا.
- وماذا حدث بعد؟

أكملت الأم، وجفونها شبه مغمضة، وكأنها تتذكر تفاصيل بعينها:

-عندما وضعتُكَ، قلت لأبيك إنه ولد، فقال: إذن سمّهِ كما اتفقنا، فقلت له: أسمّيه ميونغ بمعنى (ساطع)، وباك بمعنى (بعيد النطاق)، فكان اسمك: "لي ميونغ باك"، أي رجل ساطع الضياء في كل الآفاق.. وحتما سيمتد خيرك لكل الناس.

عانق ميونغ أمه طويلا، والدموع تتلألأ في أعينهما، وظلت كلماتها، وحلمها، وبشارتها ترنّ في سمعه، وتنير أعماقه طيلة العمر. يتذكرها لحظات قنوطه، عندما تضعف عزيمته، فيشتد عزمه، ويواصل العمل، وبعدها يكتشف أن كل العثرات تافهات، وأن النجاح في الحياة، مثل ضياء القمر، إذا سطع واشتد، ملأ الحياة نورا.

***

لم تمح من ذاكرة ميونغ، كيف تهيأت الظروف له ليلتحق بالمدرسة الثانوية، فقد عاد ذات يوم، وهمس لأمه أن معلمه، ومشرف الطلاب في المدرسة الإعدادية، يطلب حضورها، ولكنها اعتذرت. كانت تلك المرة الثالثة التي يخبرها بطلب حضورها للمدرسة، وهي ترفض الذهاب. كانت تعلم جيدا، أن المعلم يريدها أن توافق أن يلتحق ميونغ بالمرحلة الثانوية، ولا يكتفي بالشهادة الإعدادية لظروف الأسرة.

وكانت الأم، ترجو ابنها أن يصبر بعض السنوات، فجميع المدارس الثانوية مصاريفها عالية، وفوق كاهل الأسرة حاليا، إلا أن الأمر في المرة الثالثة

كان مختلفا، فقد أخبرها ابنها، أن معلمه وجد مدرسة ثانوية مجانية، وعليها الحضور للتوقيع على الورق.

ذهبت الأم للمدرسة، وانتظرت في حجرة استقبال أولياء الأمور، وحينما حضر إليها المعلم، ابتسم وقال لها:

- أخيرا حضرتِ يا سيدة تاييون!
- لعل ابني أخبرك بسبب اعتذاري في المرتين السابقتين.
- نعم، أخبرني، ولكنك لو حضرت من المرة الأولى، لقلت لك: إن ابنك متفوق، إنه الطالب الثاني دائما على صفه، وهذا يعني حصوله على منحة مجانية في مدرسة ثانوية ليلية.

فوجئت الأم، وشعرت بفخر كبير، ونظرت إلى ابنها الذي حضر مع معلمه، وقالت:

- ميونغ يخبرني دائما أنه فائق، ولكن لم يقل لي هذا.
- أبشري يا سيدتي، لا تحرمي ابنك من إكمال تعليمه، سيكون له شأن كبير.

قدّم المعلم استمارات التقديم للمدرسة الثانوية الليلية، وأمسكت الأم بالقلم ووقّعتها، فقفز ميونغ فرحا، مقبلا رأس أمه، وانحنى باحترام لأستاذه، الذي قال له:

- استمرار المجانية في المدرسة الثانوية، مرهون بتفوقك كل سنة.

- سيحدث يا معلمي، كما تفوقت في الإعدادي، سأتفوق في الثانوي.

وبالفعل حافظ ميونغ على المجانية، فقد استمر متفوقا على أقرانه طيلة سنوات الثانوي الثلاث.

كان دائما يتذكر كلمات معلمه في الإعدادي، وتشجيعه له، مرددا المثل الشعبي:

"الحجر المتدحرج لا تتجمع عليه الطحالب".

كان ذلك في درس اللغة الكورية الوطنية، احتار ميونغ في فهم المقصود بالمثل، خاصة أن المعلم يكرره كثيرا، فسأله على حياء:

- ما المقصود بهذا المثل يا معلمي؟

قال المعلم:

- المقصود بسيط يا ميونغ، وهو أن الشخص النشط ستكون حياته سعيدة، والشخص الكسول حياته مشكلات وهموم. الإنسان في الحياة مثل الحجر إذا ألقي في قاع البحر، طالما حرّكته الأمواج، فلن تتراكم عليه الطحالب. وإذا توقف تكاثرت عليه الطحالب، ومنعته من الحركة.

***

عملت أمه في السوق طويلا، وقد تفتق ذهنها على عمل، يجلب لها بعض الربح، بدلا من بيع الفاكهة، وما تعانيه في نقلها من البستان إلى السوق.

استثمرت تاييون مهارتها في الطبخ، خاصة أنها تجيد صنع المخبوزات الكورية الشعبية. فكان كعكها المحشو بالفاصولياء الحمراء، يتهافت عليه الزبائن، عندما كانت تبيعه في سوق بوهانج. ساعدها ميونغ وهو طالب في المرحلة الإعدادية وإلى طيلة الثانوية، وكانت مهمته بدايةً منحصرةً في جرّ عربة اليد التي تضع عليها أمه أدواتها، المكونة من إناء مليء بالعجين، تعدّه في البيت مسبقا، وإناء آخر مليء بالفاصولياء الحمراء، وصاج معدني لخبز الكعك عليه، وموقد كيروسين ستضعه أسفل الصاج، ومعه إناء كبير من الماء. وعندما تصل العربة إلى السوق، ترصّ تاييون أدواتها في المكان المخصص لها، ثم تشرع في صنع الكعكات، بمهارة وحنكة.

تعلّم ميونغ سريعا الصنعة، وعرف سرّها، حيث كانت الأم تبدأ بوضع العجين على الصاج الساخن، وعندما يصبح العجين مقرمشا بعض الشيء، تضع معجون الفاصولياء الحمراء، ثم تقلّب الكعك على الصاج. ظن ميونغ أن الأمر يسير، ولكن عندما مارسه بنفسه، اكتشف أن أمه فنّانة في صنعتها، فلكي يكون الكعك مقرمشا من الخارج، لابد أن تبقي على معجون الفاصولياء الحمراء ساخنة بعض الشيء، دون إفراط في وضعها على النار، لئلا تحترق، وعندما يبدأ المرء في قضم الكعك، يتسرب المعجون الشهي، من داخل الكعكة إلى خارجها.

أدرك ميونغ أيضا أهمية إعداد العجين والحشو كل يوم، ليكونا طازجين، وكان يساعد أمه، في إعدادهما عندما يعود من المدرسة، ثم يذهب في الصباح إلى مدرسته، وتذهب أمه إلى السوق.

في أعياد ميلاد إخوته التي تحفظ تواريخها أمه، وكأنها محفورة في ذاكرتها، بل تحفظ لحظة الميلاد، بالدقيقة والساعة واليوم والسنة؛ تحضر الأم كعكات خمسة، تعدّها ببراعة ومهارة، واحدة لكل أخ، وواحدة للأب، وتظل تنظر لهم وهم يأكلون بشراهة.

وفي الاحتفال بعيد ميلاد ميونغ، سألها ابنها: لماذا لا تحضرين كعكة لك يا أمي؟ ابتسمت الأم، وقد حملت ملامحها كدّ السنين، وقالت: من كثرة ما أصنعها؛ مللتُ من ريحتها وطعمها.

***

بعد سنوات طويلة، وعندما كان "لي ميونغ باك" عمدةً لمدينة سيول، عاصمة كوريا الجنوبية، اعتاد أن يسير في أسواق المدينة، أسواق الأغنياء، وأسواق الفقراء، كليهما على السواء.

وذات مرة، وفي أحد الأسواق الشعبية، شاهد زوجين، أمامهما طاولة لصنع الكعك بالفاصولياء الحمراء. اقترب منهما، واشترى قطعة كعك، وتذوقها، ولكنها لم تعجبه، فلم تكن مقرمشة على الإطلاق، والحشو بداخلها لم يكن له المذاق اللذيذ للفاصولياء.

أدرك أن الزوجين مبتدئان في مشروعهما، فراح يشرح لهما أهمية أن تكون الكعكات مقرمشة، وكيفية جعل معجون الفاصولياء لذيذا.

نظرا إليها الزوجان بدهشة وخجل، وتعجّب ميونغ عندما لم يجد ردا منهما، فحاول أن يشرح ثانية، ولكن أحد المتجولين بالسوق همس له أن كليهما أصم. وعرف ميونغ السبب ساعتها، فهذه حرفة لا تتطلب حوارا مع الزبائن، فيكفي الزبون أن يشير بإصبعه، عن عدد ما يريد، ويفهم أحد الزوجين المطلوب، فيقوم على صنعه.

وضع العمدة ميونغ مريلة على بذلته الفخمة، وشرع يخبز الكعك بنفسه، والزوجان بجانبه يتأملان كيف يقرمش الكعك، ويتقن صنعه.

العجيب أن الناس تجمعوا، لمشاهدة العمدة وهو يخبز بمهارة، ويحكي لهم عن أمه الطاهية والخبازة الرائعة، وخلال أقل من ساعتين، باع كل العجين، وهو يضاحك المشترين، المتلذذين بالطعم المقرمش، مع عجين الفاصولياء.

في الأيام التالية، وخلال جولاته المتعددة في أسواق المدينة، تعيّن عليه المرور مرات، على الزوجين، ليتأكد بنفسه إجادتهما للصنعة، وفي المرة الرابعة تناول كعكة كاملة متلذذا بها، وهو يهنئهما بأنهما قد أجادا الصنعة، وحتما سيكسبان إذا استمرا نشيطين.

***

فكّر ميونغ كيف يمكن مساعدة أمه، فطلبات البيت كثيرة، ودخل المنزل قليل، وكل دوره معها أنه يساعدها في إعداد الكعك وبيعه، وذلك قبل ذهابه إلى المدرسة في الفترة المسائية، كانت أمه تصنع الكعك، وهو يقف بجانبها، وغالبا بلا عمل. فقرر أن يعمل في بيع ما يمكن أن يؤكل سريعا، حسب الطقس، وعندما باح لأمه برغبته، ضحكت، ولم تفهم مقصده من هذا المشروع، فقال لها بعزم:

- في الشتاء سأبيع الفشار الساخن الذي يعشقه الناس.
- وفي الصيف؟
- سأبيع الآيس كريم، وأيضا حلاوة الطوفي وألواح السكر.

انشغلت الأم بما في يدها، ولم تنتبه إلى أن نجلها تركها.

في اليوم التالي، حضر ميونغ إلى السوق حاملا مقلاة من البيت، ومعها ملعقة، وقد عكف على تنظيفهما في الصباح، ثم اشترى بعض الذرة، وبعض الزيت، واستغل الموقد عند أمه، في تسخين الزيت، وعمل الفشار، الذي فاحت رائحته، وتواكب عليه الأطفال والنساء. كانت أمه خلفه في كل هذا، فقد أدركت أن ابنها قد لا يجيد صنع الفشار، وقبل أن يقلي أول كمية من الذرة، شرحت له كيف يكون الفشار مقرمشا، ولذيذا، مع وضع الملح وبعض التوابل عليه.

وفي الصيف، صنع صندوقا من الصاج، ملأه بالثلج، ووضع قطع الآيس كريم عليه، التي أخذها من مصنع الآيس كريم بالجملة، وبجانب الصندوق، وضع كرتونة، مرصوص فيها بعناية حلويات الطوفي، وألواح السكر، التي يعشقها الكبار والصغار.

***

أحنى ميونغ رأسه خجلا، عندما نظرت إليه إحدى زميلاته في المدرسة الثانوية، وسألته بعفوية، وهي تتأمل ملابس المدرسة التي كان يعمل بها في السوق أيضا.

- هل أنت الذي تبيع الفشار في السوق القريب؟

سارع بالهروب من أمامها، وظل طيلة اليوم، يحني رأسه في الفصل، وفكّر جديا أن يكف عن العمل في السوق، ولكن ماذا ستفعل أمه بدونه، خاصة أن ما يربحه يساعدها؟!

هو لا يمتلك ملابس أخرى غير ملابس المدرسة التي تكون متسخة نوعا ما، بفعل قلي الفشار، خاصة أن نحافة جسده، وذراعيه الطويلين يميزانه بين زملائه الطلاب.

في اليوم التالي، وضع على رأسه قبعة كبيرة بالية وممزقة حوافها، ليخفي وجهه، وهو يصنع الفشار، لمحته أمه، واستغربت من فعله، وعندما تمعنت في سلوكه، عرفت أنه أراد إخفاء وجهه، فهتفت به ضاحكة:

- ميونغ، لا ترتدِ القبعة مرة أخرى.
- لماذا يا أمي؟
- ليس لديك ما تخفيه وتخجل منه، ارفع رأسك وافتخر بنفسك يا بني.

***

عندما كان ميونغ عمدة لمدينة سول العاصمة، استوقفه المشردون في الشوارع، ينامون على الأرصفة، وملابسهم بالية، ويأكلون من القمامة، وظهر ذلك في ملامح وجوههم: جفافا واسودادا، فمن ينظر إليهم، سيعرف من هم.

قرر ساعتها مساعدتهم، فليعمل كل واحد منهم، أي عمل، شريطة أن يكون له دخل ثابت وإن قلّ، ومكان ينام فيه، وإن صغر، فاجتمع برؤساء الشركات في المدينة، وأخبرهم عن برنامج لتشغيل هؤلاء المشردين، مع ضرورة توفير أمكنة للعيش لهم. تحمسوا جميعا، لشعار برّاق وهو أن تكون "عاصمة وطنهم خالية من البؤس"، فتم تعيين المشردين حراسا، وعمالا، وحمّالين.. وظائف بسيطة، ولكنها دائمة.

بعد شهر أو أقل، جمعهم ميونغ في إحدى القاعات بمبنى حكومي، وهناك اصطفوا، وراح ميونغ ومعه مسؤولون حكوميون، ورؤساء الشركات يصافحونهم ضاحكين. كانت المفارقة أن هؤلاء المشردين، وضعوا على رؤوسهم قبعات القش المتدلية ليخفوا وجوههم، ورؤوسهم إلى أسفل، تذكر

ميونغ ما كان يفعله منذ سنوات، وظن نفسه ساعتها أنه وجد حلا عبقريا، ورنّت في أذنيه كلمات أمه، فهتف بهم:

- دعوني أرى هذه الوجوه الوسيمة، ارفعوا رؤوسكم عاليا.

نزعوا جميعهم القبعات، وبدت وجوههم والبؤس المرسوم عليها، فقال:

- لقد كانت أمي على صواب، ليس هناك شيء يمكن إخفاؤه، ونخجل منه.

***

أنهى المرحلة الثانوية، وقد رحل والداه إلى منطقة آيتون في سول، وعملا في بيع الفاكهة، وعاشا في كوخ بالقرب من سوق الخضار. رحل ميونغ معهما، على أمل الدخول إلى الجامعة. أراد أن يعمل ويدرس معا، ظانا أن السوق في سول سهل العمل فيها، إلا أنه اصطدم بشروط تعجيزية لمن أراد أن يتاجر أو يعمل في حرفة. لم يجد أمامه إلا الذهاب إلى سوق العمّال اليومي، حيث يصطف طابو عمّال اليومية، ويأتي المقاولون يختارون من يريدون منهم. نحافة جسده، واصفرار وجهه؛ كانا سببا في عزوف المقاولين والتجار عنه، رغم أنه كان يصلب ظهرا، وينفخ صدره، لعل هيئته تبدو أكبر من حجمه.

وذات مرة، أخذه أحد مقاولي البناء، وطلب منه رفع أكياس الإسمنت، وسرعان ما سقط أرضا، خرج طردا، فتسلل إلى القطار، وهرب من موظف التذاكر، فلو كان معه مال، لأفطرَ به. توجه عائدا إلى آيتون، وجد أبويه

خلف طاولتهما لبيع الخضراوات، فأكل بعضا منها، ثم دلف إلى الكوخ ليستريح، فوجده صغيرا جدا، فقرر أن يغادره، ويقبل بأي عمل وإن كان حقيرا، على أن يستأجر كوخا أو غرفة.

جاءه الفرج، عندما رآه أصحاب المحلات في آيتون متسكعا على الرصيف، فعرضوا عليه أن يجمع القمامة ليلا، ويقوم بإلقائها في مكان بعيد، لكي تُحرق. ووعدوه أن يكون الدفع مقدما، فالرجل الذي كان قبله، كان متقلبا، يعمل إذا كان الجو صحوا، فإذا اشتد البرد، أو نزل المطر، ترك العمل.

***

وهكذا، وجد ميونغ عملا ثابتا، أتاح له أن يواصل دراسته في الجامعة، حيث التحق بكلية التجارة، بعدما اجتاز اختبار القبول، وعاش في غرفة صغيرة، رائحتها مقرفة، ولكنها قريبة من عمله، فالقمامة يراكمها ليلا، ومع شروق الشمس، يدفعها في عربة حديدية، إلى مكان يبعد أميالا عن السوق، ثم يعود إلى غرفته فيرتدي ملابسه، ويذهب إلى الجامعة، واستمر في هذه الوظيفة حتى السنة الثانية من الكلية، قبل أن ينتقل لوظائف أخرى، وإن ظل يفتخر دوما بأنه كان جامعا للقمامة، بعد تخرّجه في الجامعة، وبعدما صار رئيسا لكوريا.

***

نجحت أمه في استئجار محل لبيع الخضراوات، يعاونها الأب في ذلك، بينما استطاع الابن الأكبر الظفر بعمل في التجارة. كان الحلم الذي داعب الأم طيلة حياتها، وزرعته في أبنائها، أن يكون لهم منزل، وقد عاشوا طيلة عمرهم في منازل ليست ملكا لهم، في أوساكا، أو في القرية، أو في المعبد الياباني المهجور، أو في الكوخ المستأجر في آيتون.

غريب أمر هذا الأسرة، هكذا كان يقول ميونغ، أن تظل طوال عمرها تركض وراء لقمة العيش فقط، وفي كل الأحوال، لم تزد عن توفير المال للحد الأدنى من الطعام، وهو الكفاف. ومع ذلك تعلّم أبناؤها، وعرفوا أن كل مشقة لها نهاية، وإن طالت.

ذلك الدرس الذي شعروا به، عندما جاءهم أخوهم الأكبر يخبرهم أنه سيشتري شقة صغيرة في إحدى ضواحي سول، وستعيش فيها الأسرة كلها، الأب والأم والأولاد.

وجاء الأخ الثاني يخبرهم أنه توظف بعدما أنهى الجامعة، أما ميونغ، فكان في سنته الأخيرة في الجامعة، وكان يعمل في بعض الوظائف الحسابية الصغيرة، لتخرج الأسرة كلها من كفافها وسترها إلى الحياة الكريمة، كأن الدنيا ستبتسم لهم، وستظللهم بخيرها بعد عناء بطعم المرارة.

ذهب ميونغ لأمه، كانت ممددة على السرير، لها أسابيع لم تذهب إلى المحل، المرض يشتد بها، ويتعاظم الوهن، بشّرها بأن أحوالهم في طريقها للخير كله،

ابتسمت، وكان المرض قد لوّن وجهها بالاصفرار، وعلّم على بقية جسدها، فتعروّق كفاها، وضَمُر بطنها وكتفاها.

***

عندما انتقلت الأسرة إلى الشقة الجديدة، بكوا جميعهم، وانتحى كلٌ منهم في ركن، ماتت الأم، واصطبغت الحياة بالكآبة.

أصروا على حمل ملابسها وأشيائها، وأن توضع في خزانة الملابس في غرفة الأب. ثمة ورقة بخط الأم الدقيق، مطوية بعناية، مدسوسة في جيب فستان أبيض اعتادت الأم تاييون ارتداءه في المناسبات، فتحوا الورقة، كان خطابا موجها إلى ميونغ، حينما غاب فترة من الوقت عن البيت. تقول فيه: "ابني الحبيب لي ميونغ باك، آمل أن تواصل التشبث بما تعتقد به، والدفاع عنه، كن أمينا دائما، ولا تفقد شجاعتك، أنا أؤمن بقدراتك دائما، وتذكر أنني دائما أدعو لك بالتوفيق، وسأظل دائما كذلك".

***

فاجأ الأخ الثاني أسرته بعدما ترقى في عمله بقيامه بشراء مزرعة في ضواحي سول، طلب من والده أن يعيش فيها، فهو يعلم أنه يعشق حياة الريف.

بمجرد انتقال الأب إلى المزرعة، بنى ضريحا للأم في الحديقة الخلفية، وأصر على نقل جثمانها، ونحت بنفسه على شاهد الضريح الحجري هذه العبارة:

"هنا ترقد زوجتي العزيزة، التي توفيت قبل أن تتمتع بالسعادة في الحياة، سامحيني للاستمتاع بها وحدي".

توفي الأب في ديسمبر في العام ١٩٨١، وهو نفس الشهر الذي ماتت فيه الأم قبله بسنوات، بعدما رأى ابنه ميونغ وقد أصبح الرئيس التنفيذي لشركة هيونداي للهندسة والإنشاءات.

***

عمل ميونغ عقودا ثلاثة في مجموعة هيونداي، بدأ فيها محاسبا بسيطا، وهو في سن الرابعة والعشرين، وأصبح مديرا للشركة في التاسعة والعشرين، وهو في الخامسة والثلاثين صار الرئيس التنفيذي للشركة، وهو أعلى منصب فيها، وكان أصغر من شغله سنا.

وفي سن السابعة والأربعين، ترك الشركة بعدما صارت عملاقا عالميا. وقد اكتسب لي ميونغ باك لقب "الجرّافة الهائجة"، لأنه فكك ذات مرة جرافة معطلة لدراسة الطريقة التي تعمل بها، ولمعرفة كيفية إصلاحها، ثم دهسها بجرافة أخرى قادها بنفسه، معلنا أن الإنسان لابد أن يتعلم من كل تجربة في الحياة، ويظل يكتسب المعرفة والخبرة كل يوم، ولابد أن يخدم الآخرين، ويحبهم، ولا ينتظر منهم مقابلا، لأن النجاح يهبه الله.

ثم دخل عالم السياسة، فانتخب عمدة لمدينة سول، ثم رئيسا لكوريا الجنوبية. وقال بعد تقاعده عن السلطة: خلال خمس سنوات جعلت من

هيونداي امبراطورية صناعية عظيمة. وخلال خمس سنوات جعلت من كوريا خامس اقتصاد عالمي، بعدما كانت خامس أفقر دولة في العالم منذ خمسين عاما.

وقال أيضا: لم تمحُ الرئاسة رائحة القمامة من يدي وهذا أكثر ما أفخر به.

❊ ❊ ❊

الاسم : أ. د. مصطفى عطية جمعة

أستاذ الأدب العربي والبلاغة والنقد الأدبي،

وباحث في الإسلاميات والحضارة، وقاص وروائي ومسرحي.

الأعمال المنشورة:

أولا: الدراسات الأدبية والنقدية :

١) دلالة الزمن في السرد الروائي، نقد، جائزة النقد الأدبي، الشارقة، ٢٠٠١.

٢) أشكال السرد في القرن الرابع الهجري، نقد، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٦

٣) ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة (الذات، الوطن، الهوية)، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٠، وكالة الصحافة العربية، القاهرة،ط٢، ٢٠٢٣.

٤) الرؤية والأداة: في جماليات المكان والزمان والتأويل، وكالة الصحافة العربية، ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٣، وصدرت طبعته الأولى بعنوان اللحمة والسداة، نقد أدبي، سندباد للنشر، القاهرة، ٢٠١٠.

٥) شعرية الفضاء الإلكتروني في ضوء ما بعد الحداثة، نقد أدبي، دار شمس، القاهرة، ٢٠١٦.

٦) الظلال والأصداء، نقد أدبي، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠١٥م

٧) الوعي والسرد، دار النسيم للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٦م.

٨) السرد في التراث العربي (رؤية معرفية جمالية)، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠١٧م، ووكالة الصحافة العربية ناشرون، القاهرة، ط٢، ٢٠٢٣.

٩) القرن المحلق (الرواية الإفريقية وأدب ما بعد الاستعمار)، منشورات جائزة الطيب صالح العالمية، الخرطوم، ٢٠١٧م، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، (ط٢)، ٢٠٢٣.

١٠) عضو فريق التأليف في كتاب: التأريخ واشتغال الذاكرة في الرواية العربية، ببحث عنوانه: تمثيل التاريخ العربي وإشكالات التأريخ في الرواية التاريخية، منشورات كتارا للرواية العربية، قطر، العام ٢٠١٩م.

١١) التحيز في المسرح العربي: قراءة في الجذور والنشأة والنصوص والتجارب، في كتاب محكم جماعي بالاشتراك: تلغيم الفن: المسرح بوصفه ساحة للتحيزات، منشورات دار نور حوران، دمشق، سورية، إبريل ٢٠١٩م.

١٢) الفصحى والعامية والإبداع الشعبي، دار شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩م.

١٣) أصداء ما بعد الحداثة: في الشعرية والفن والتاريخ، دار شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩م.

١٤) شرنقة التحيز الفكري: أنماط وتجليات ودراسات، دار شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩م.

١٥) البنية والأسلوب: دراسات نقدية، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٢٠

١٦) المعجمية العربية: قراءة حضارية في ضوء الأنثروبوجيا الثقافية. دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٣.

١٧) الرواية العربية: قضايا الإنسان والهوية: إشكالية الريف والمدينة نموذجا، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٤.

ثانيا: الإسلاميات والحضارة:

١٨) هيكل سليمان (المسجد الأقصى وأكذوبة الهيكل)، ط١، دار الفاروق للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م. ووكالة الصحافة العربية ناشرون، القاهرة، ط٢، ٢٠٢٣.

١٩) فلسفة الرحمة في شخصية الرسول (ص)، ط٢، وكالة الصحافة العربية ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٣، وصدرت الطبعة الأولى بعنوان: الرحمة المهداة،

خلق الرحمة في شخصية الرسول (ص)، إسلاميات، مركز الإعلام العربي، القاهرة، ٢٠١١ م،

٢٠) الحوار في السيرة النبوية، إسلاميات، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠١٥م

٢١) الإسلام والتنمية المستدامة، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠١٦م.

٢٢) منهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) في إدارة الأزمات، إسلاميات، دار شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠١٨م.

٢٣) وسطية الإسلام في حياتنا الفكرية: قضايا التجديد والثقافة والمعاصرة، إسلاميات، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٢٠.

٢٤) الحكم الراشد: رؤية إسلامية حضارية، دار شمس للنشر والمعلومات، إسلاميات، القاهرة، ٢٠٢٠.

٢٥) صورة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الوجدان الغربي: أبعاد التجني، براهين التفنيد، الكتاب الفائز بالجائزة الأولى في المسابقة الدولية بمنصة أريد البحثية الدولية ARID Platform، ماليزيا، ديسمبر ٢٠٢٠.

٢٦) المثاقفة والتواصل: حوار الذات وحوار الحضارات، وكالة الصحافة العربية، ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٢.

٢٧) الطفولة والهوية والتغريب: إشكاليات النسوية والجندرية، وكالة الصحافة العربية، ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٢.

٢٨) أسئلة الحضارة والنهضة: إضاءة على الفكر التنويري والحداثة الإسلامية، وكالة الصحافة العربية، ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٣.

٢٩) التطبيع الصهيوني العربي شفرات الخداع والتدليس، منشورات مركز الشرق للأبحاث والثقافة (ECR)، ٢٠٢٣.

ثالثا: الإبداعات الأدبية:

٣٠) وجوه للحياة، مجموعة قصصية، نصوص ٩٠، القاهرة، ١٩٩٧م

٣١) نثيرات الذاكرة، الجائزة الأولى في الرواية، دار سعاد الصباح، القاهرة / الكويت، ١٩٩٩م.

٣٢) شرنقة الحلم الأصفر، رواية، جائزة الرواية عن نادي القصة، بالقاهرة، ٢٠٠٢، نشر: مركز الحضارة العربية،٢٠٠٣م.

٣٣) طفح القيح، مجموعة قصصية، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٣٤) أمطار رمادية، مسرحية، مركز الحضارة العربية بالقاهرة، ٢٠٠٧م.

٣٥) نتوءات قوس قزح، رواية، سندباد للنشر، القاهرة، ٢٠١٠.

٣٦) مقيم شعائر النظام، مسرحيات، دار الأدهم للنشر، القاهرة، ٢٠١٢م.

٣٧) قطر الندى، مجموعة قصصية، دار شمس للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠١٣م.

٣٨) على متن محطة فضائية، رواية للأطفال، منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربي، الرياض، ٢٠١٢م.

٣٩) سفينة العطش، مسرحية للأطفال، منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربي، الرياض، ٢٠١٢م.

٤٠) أصدقاء في عالم الفضاء، رواية للفتيان، وكالة الصحافة العربية، ناشرون، القاهرة، ٢٠٢٣، ط٢، وصدرت الطبعة الأولى بعنوان: رواد فضاء الغد، أطفال، منتدى الأدب الإسلامي، الكويت، ٢٠١٤م.

٤١) لكل جواب قصة، مسرحيات للأطفال، منتدى الأدب الإسلامي، الكويت، ٢٠١٤م.

٤٢) سوق الكلام، مسرحيات، دار النسيم للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٧م.

٤٣) حدث مألوف، قصص قصيرة جدا، دار شمس للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠٢٣.

٤٤) جزيرة الفئران، مسرحيات للأطفال واليافعين، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٣.

٤٥) الحسن بن علي، رواية للأطفال واليافعين، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٣.

٤٦) البرتقالة في الزجاجة، مجموعة قصصية للأطفال واليافعين، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٣.

٤٧) صندوق الألعاب، مجموعة قصصية للأطفال، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٣.

٤٨) الفقر مقتولا: قصة البروفيسور محمد يونس وحربه ضد الفقر في بلاده، قصة للفتيان، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٤.

٤٩) النسيم والهجير، رواية، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٤.

٥٠) رحيق الألم: قصة حياة "لي ميونغ باك" رئيس كوريا الجنوبية، رواية للفتيان، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٢٤.

٥١) المتسابقون للفردوس، مسرحيات للفتيان، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٤.

٥٢) كنتُ ملحدًا: سيرة العالم الأمريكي جفري لانغ، قصة للفتيان، دار المثقف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٤.

❊ ❊ ❊

رحيق الألم

قصة كفاح " لي ميونغ باك "

رئيس كوريا الجنوبية

عندما دخل "لي ميونغ باك" عالم السياسة، وتم انتخابه رئيسا لكوريا الجنوبية، قال: خلال خمس سنوات جعلتُ من كوريا خامس اقتصاد عالمي، بعدما كانت خامس أفقر دولة في العالم منذ خمسين عاما.

وقال أيضا: لم تمحُ الرئاسة رائحة القمامة التي كنت أعمل في جمعها وأنا فقير، وهذا أكثر ما أفخر به.